الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التفكير التداولي عند طه عبد الرحمان من خلال مؤلفاته

مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

من اعداد الطالبتين:

- صفية خليفي
- فاطمة الزهراء عروة

إشراف الدكتور:

سليم حمدان

الموسم الجامعي:1440هـ-1441هـ/ 2019 م-2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾

سورة طه، الآية 114

شكـــــر وعرفان

أحق كلام أن تلهج به الألسنة، وأن لا يطوى منشوره على توالي الأزمنة، كلام لا يفرغ....إلافي قالب الصدق، ولا يُنسج خبره إلا على منوال الحق، وهو مدح الله تعالى وحمده، فالحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات، له الشكر كله وله الحمد في الأول وفي الآخر.

ولما كان من لطيف حثه جلّا وعلا « لا تنسوا الفضل بينكم» وجب في هذا المقام أن نثني على من هم أحق بهذا الفضل، أستاذنا الدكتور سليم حمدان على جميل صنيعه في احتضان ورعاية هذا البحث منذ تشكله الجنيني إلى اختماره منجزا بين أيدينا.

نتقدم إليه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان، ونحن مدينون له على صدقه وصبره معنا في أشواط هذا البحث، كما لا يفوتنا أن نجزي بالشكر والتقدير إلى أساتذتنا أعضاء اللجنة المناقشة الموقرين الذين تكبّدوا عناء قراءة بحثنا المتواضع.

مقدمة

مقدمة

كان العرب من قبل رائدين في شتى الميادين حتى أصابتهم جائحة جعلتهم تابعين لغيرهم في شتى الميادين، ورغم كل هذا فالأمة الإسلامية أمة تمرض ولا تموت تتي ولا تكل فنراها دائما تحاول المشاركة في إثراء التراث العلمي نقدا وتحقيقا وتنقيحا، و كانت اللغة ولا تزال من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب والتأثير فيه ويكون التأثير أشد وأبلغ وأفيد عندما تكون اللغة مفهومة ومتداولة وموصولة بالممارسة اللغوية فنجد الدراسة التداولية قطب رحى العلوم اللسانية، ومن بين العلماء الذين وضعوا أنفسهم على عرض طريق العلم منيرين درب غيرهم وناحتين لأنفسهم مجدا لا يستهام به نجد المفكر التداولي طه عبد الرحمان، الأكثر اشتغالا بالتراث ومن الذين حاول التعريف بالفكر التداولي وتطبيقه في الثقافة العربية الإسلامية، من هنا فقد ولد فينا، الرغبة في البحث خاصة في مشروعه التجديدي التداولي، ولهذا قمنا باختيار عنوان مذكرتنا الموسومة بـ: " **التفكير التداولي عند طه عبد الرحمان من خلال مؤلفاته.**"

وهناك جملة من العوامل والأسباب الذاتية والموضوعية التي دفعتنا لاختيار موضوعنا؛ فالذاتي ميلنا لمجال الدراسات التداولية في حد ذاتها كونها موظفة في جميع أنواع الخطابات التي تسعى للتوجيه والتأثير، وميلنا الشخصي كذلك لهذه الشخصية الموسوعية، لما لها من تأثير في تنوير الفكر والتحرر من التبعية للمناهج الغربية أما السبب الموضوعي حاجة الدراسة العلمية إلى إرساء قواعد عربية إسلامية أصيلة مستمدة من التراث وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أهمية التفكير التداولي عند طه عبد الرحمان.

وللأهمية التي يحملها الموضوع، ينطلق بحثنا من إشكالية رئيسة نلخصها فيما يلي: ماهي القواعد الأساسية التي تقوم عليها النظرية التداولية في فكر طه عبد الرحمان؟

وتندرج تحتها عدة تساؤلات أهمها: ما الدافع الذي تبلورت عليه القواعد والمفاهيم الأساسية للتداولية ؟، وما مدى إسهام هذه القواعد والمفاهيم في تشكيل النظرية ؟ إلى أي مدى وفق طه عبد الرحمان في خدمة الدرس اللساني التداولي الحديث.؟

شكلت الإشكالية وأسئلتها الفرعية هيكل بحثنا والذي كانت بدايته هذه المقدمة التي عرضنا من خلالها فكرة عامة حول موضوع مذكرتنا، يليها مدخل عنوناه بإشكالية المصطلح والترجمة؛ احتوى تعريفات لمصطلحات التداولية المتشعبة؛ ثم انتقلنا إلى الفصل الأول بعنوان: **ماهية التداولية**، سعينا فيه لتوضيح بعض المفاهيم منها ماهية التداولية لغة و اصطلاحا، ثم يليه روافد الدرس التداولي، ثم عرجنا على علاقة التداولية بالعلوم الأخرى، مروراً بالتداولية عند العرب قديما وحديثا، و صولا إلى الفصل الثاني المعنون بـ: " **مشروع التجديد التداولي عند طه عبد الرحمان**" و هو الفصل الذي اعتمدناه للكشف عن التداولية في فكره؛ فقدمنا لمحة عن شخصية وحياة المفكر المغربي دون أن ننسى ذكر بعض مؤلفاته التي كانت مرآته في مشروعه التجديدي وكانت عوناً لنا في بحثنا التداولي، كما تطرقنا إلى الجذور الفلسفية التي صنعت شخصية المفكر التداولي، مرورا بمظاهر التجديد التداولي عنده، ثم تناولنا الأفعال الكلامية عنده، ثم تحدثنا عن مشروع طه عبد الرحمان التجديدي وهو محاور النظرية البراغماتية عنده.

وقد انتهى البحث بخاتمة شملت أهم النتائج المتوصل إليها نذكر أهمها:

- أبانت دراسات القدامى من نحاة وبلاغيين لمقومات الفعل التواصلي من مراعاة للمتكلم والمخاطب والمقام والقصد، عن جهد جبار يقتضي التقدير والاعتراف، ويحتاج إلى جمع شتات هذه الجهود المتفرقة للتأصيل لفكر تداولي عربي محض وهذا ما أثبته المفكر طه عبد الرحمان.
- نجد طه عبد الرحمان من بين المفكرين الأكثر اشتغالا في التراث، حيث سعى إلى إرساء قاعدة فلسفية إسلامية أصيلة مرتبطة بالمنهج التداولي الإسلامي وذلك من خلال تجديده للمفاهيم بعد أن طغت عليها المناهج الغربية المتداولة.
- يبنى الكلام عند طه عبد الرحمان على العلاقة التخاطبية، وأن التخاطب هو إجمالا؛ عبارة عن إلقاء جانبين لأقوال بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصودا معينا، وأن هذا الإلقاء للأقوال لا ينفك عن أفعال مخصوصة يأتي بها الجانبان بغرض إنهاض أحدهما الآخر للعمل وفق هذا المقصود، ولأن التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال و إتيان الأفعال، كان لزاما أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية، كما لزم أن تنضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية وهي" قواعد التهذيب "
- نظر طه عبد الرحمان في القوانين التي ينضبط بها التخاطب، حيث تبين له أن القواعد التي صاغها المحدثون يكرر بعضها بعضا كما لاحظ أيضا فيها نقائص وقصور، ينطلق من المبدأ الأول وهو مبدأ التعاون الذي ورد عند بول غرايس الذي يقتضي تعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الخطاب.

ومن أجل إثراء البحث وتدعيمه اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، واستقينا مادة بحثنا من مصادر ومراجع نذكر منها: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، وتجديد المنهج في تقويم التراث لطه عبد الرحمان، فضلا عن استراتيجيات الخطاب، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، و التداولية عند العلماء العرب، لمسعود صحراوي، بالإضافة إلى التداولية في البحث اللغوي والنقدي، لبشرى البستاني.

وكأيِّ عمل لا يخلو من الصعوبات التي واجهتنا، المتمثلة في عدم وضوح معالم الدراسة اللسانية التداولية عند طه عبد الرحمان، إضافة إلى لبس وغموض في المادة العلمية، وكأن كتبه موجهة للنخبة والفلاسفة فقط.

وفي الأخير نتوجه بخالص الشكر والعرفان والثناء إلى أستاذنا المشرف الدكتور: سليم حمدان، باقتراحه لهذا الموضوع الثري، والذي فتح لنا فرصة التعرف على تفكير ظاهرة عربية لا تتكرر، وعلى توجيهاته وإرشاداته وتقويمه لبحثنا، فله منا كل التقدير والاحترام.

مدخل:إشكالية المصطلح بين الترجمة والتعريب

1- مصطلح البراجماتية(الذرائعية)،(pragmatism).

2- مصطلح السياقية.

3- مصطلح التخاطبية .

4- مصطلح المقامية .

5- مصطلح التداولية (pragmatics).

لقد استطاعت التداولية أن تفرض نفسها في التفكير اللساني العربي علمًا ومنهجًا ونظريةً ومصطلحًا، كما تُعدُّ التداولية من التغيرات الملحوظة التي شهدتها اللسانيات من خلال تجاوزها لنظام اللغة كنظام لساني، يدرس في ذاته ولذاته إلى دراستها كنظام للتواصل الفعال، مركزة على المقام، بجعله شرط من شروط نجاح العملية التواصلية، فاشتدت عناية الدارسين والباحثين العرب بالتداولية.

إن المتأمل للتداولية كمصطلح وحقل علمي خاص في الدراسات العربية الحديثة والمعاصرة، يلاحظ ذلك الغموض والضبابية في اصطلاحاتها وتعريفها وفي الحقيقة إن أية محاولة للكتابة العلمية في أي حقل من الحقول العلمية المتنوعة تصطدم بإشكالية اعتماد المصطلحات الذي تنتظم من خلالها مجمل المفاهيم داخل التخصص المعين وهذا ما قد نلاحظه في " التداولية" كحقل علمي خاص، حيث شهدت الدراسات اللسانية فوضى صارخة في استخدام المصطلح الغربي، بوصفه ثقافة مستوردة، تتلقاها عقول عربية مختلفة الأهواء والاتجاهات، مما خلق إشكاليةً، تمظهرت في تعدد المصطلحات، بالإضافة إلى تعدد دلالاتها، كما كان لتعدد تعريفاتها أثر في ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية فقد ترجم مصطلح التداولية بترجمات عدة منها: الذرائعية، السياقية، المقامية، التخاطبية الوظائفية...إلخ، وقبل الشروع في ماهية الدرس التداولي كان لابد من التعرف والوقوف على بعض مصطلحاته وترجماته، من هنا نطرح الإشكالية التالية: ما هي أهم الترجمات العربية المقابلة لمصطلح " pragmatics " و ما مدى صحة هذه المقابلات مع الدرس اللساني الحديث؟.

1- مصطلح البراجماتية:(الذرائعية- النفعية)

من الترجمات الحرفية التي شاع واتسع استعمالها – على قدر معين- بين الباحثين في مقابل مصطلح pragmatics(البراجماتية أو برغماتية، الذرائعية، النفعية، والفوائدية) كيف ظهر هذا المصطلح، ؟ وما المقصود من اطلاقه،؟ ومن أول من استعمله،؟ و ماذا كان يقصد به،؟ وهل اعتمده الباحثين أو غُيِّر إلى اصطلاح أصيل و أدق استعمالا ودلالة ؟ ذلك ما سنعرفه في هذا العنصر.

لم يبرأ الجهاز الاصطلاحي لحقل التداولية من داء الاضطراب والتداخل، فلم يفرق غالبا بين المصطلح الانجليزي"pragmatics " والمصطلح الفرنسي"pragmatisme" فالأول هو" التداولية " أو" البراغماتية"، المرتبطة باللغة لا بالفلسفة، ويمثل نتاج فلسفة اللغة التي أسسها "موريس" و " فتجنشتين" و"أوستن" –سنأتي على الوقوف بالتعريف به –، أما الثاني فهو "الذرائعية أو النفعية؛[1] يدل على مدرسة فلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر. صاغ هذا المذهب بيرس * عام 1879، وطوره كل من "جون ديوي"، و"وليام جيمس،"** اللذان يريان أن الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي والمصلحي؛ ويعني هذا أن الحقيقة الصادقة واليقينية هي التي تحقق المنفعة والمصلحة للإنسان، وتحقق المشاريع المستقبلية الهادفة وتساهم في تنمية الأفراد والرقي بالمجتمعات عن طريق تحقيق المردودية والإنتاجية والارتباط بالحياة العملية والواقعية المفيدة، و يقوم الصحيح عند "وليام جيمس"، على ما هو مفيد لفكرنا وينبني الصائب أيضا على ما هو مفيد

[1] مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مكتبة عدنان، بغداد، ط1، 2015م، ص ص 14-15.

* لقد ضل هذا الفيلسوف الذي عانى في حياته الكثير من الاهمال، يعاني بعد مماته عام 1914 م، من أوراقه المبعثرة، لولا قيام جامعة هارفرد عام 1931م بجمع هذه الأوراق و نشرها في مجموعة كاملة لأعماله، لما تسنى للأمريكيين ولغيرهم اكتشاف أصالة وعبقرية هذا الفيلسوف الذي كان محط تقدير جيمس ودي وي، اللذين كانا كثيرا ما يسيران على هديه غير ناكرين لفضله في تكوينهما البرجماتي". علي عبد الهادي المرهج: الفلسفة البرجماتية أصولها ومبادئها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008م. ص 6.

** لقد أصبح القارئ العربي يعرف البراجماتية من خلال ما كتبه هتان الشخصيتان، أو ما كتب عنهما من مؤلفات، أما بيرس الذي لم يترك لنا سوى أوراق غير منشورة ومقالات نشر مجموعة منها في الصحف، فقد ظل مختفيا خلف كلمة مؤسس البراجماتية، لكن فكر هذا الفيلسوف وجهده الأساس في بناء المنهج البراجماتي ضل مجهولا لدى القارئ العربي. علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البرجماتية أصولها ومبادئها، ص 7.

لسلوكنا، ومن هنا يرى البراجماتيون أن الأفكار الحقيقية هي: " تلك التي نستطيع أن نستوعبها، ونستطيع أن نصادق على صحتها، ونستطيع أن نعززها بفعل انخراطنا فيها، وأخيرا أن نتحقق منها.[1]

ونجد من الباحثين من التبس عليه الأمر في المصطلح الذي يرتضيه لهذا المجال وهو الباحث "محمود عكاشة" منذ العنوان حيث عَنون كتابه: " النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"؛ ثم يقول في المقدمة فالبراجماتية اللسانية، أو التداولية اللسانية هي نفسها التداولية pragmatics؛ التي شاعت في البحوث العربية، وقد اخترت مصطلح " البراجماتية اللسانية " لدلالته على المفهوم الغربي الدقيق، وللتفريق بين المصطلح اللساني الحديث، والمصطلح الفلسفي" pragmatisme " وقد ترجم الأخير إلى البراجماتية والنفعية و الفوائدية و العملية. و البراجماتية اللسانية منهج غربي حديث، في البحث اللغوي تأثر بالفلسفة الواقعية المادية في بحث أعيان الأشياء، وما يتعلق بها، وهدفها القصد اللغوي. حيث يختار مصطلح البراجماتية اللسانية في مقابل البراجماتية "pragmatisme" ؛ لكي يفرق بين المجالين الأول اتجاه لغوي يعنى بالاستعمال الكلامي ومقاصده، والثاني كمذهب فلسفي أساسه قائم على ما هو نفعي وعملي... ثم واصل و تردد بين " البراجماتية اللسانية "و" التداولية اللسانية " ليؤكد أن اعتماد المصطلح الدخيل لهذا الحقل أدق من استعمال مصطلح عربي أصيل فيقول: " و أرى أن استخدامه بلفظه الدخيل (البراجماتية) أدق تعبيرا عن مفهومه؛ لأنه يحمل دلالته في ثقافته الأصلية، ولا مقابل عربيا له يحمل دلالته الفلسفية الغربية التي تعني تحصيل كل وجوه المنافع، والقرينة الوصفية "Linguistic" للتفرقة بينه وبين المصطلح الفلسفي"pragmatisme" وهي دلالة دخيل على الثقافة العربية. وأرى أن أقرب الترجمات العربية إليه بمفهومه الغربي الذي يقوم على الغرض من الخطاب والمصلحة "النفعية " أو "علم الغاية" وهو أقرب إلى تحصيل الغرض الحسي الذي يرتبط بمفهومه الفلسفي.[2] أي أن محمود عكاشة ارتضى مصطلح البراجماتية في مقابل" pragmatics " في حين اعتمد مصطلحا عربيا أصيلا في مقابل "pragmatisme"

[1] جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015م ، ص6.

[2] محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 ، 2013، ص 5.

نشير في هذا المقام إلى أن الدكتور سعد البازعي والدكتور ميجان الرويلي يستخدمان مصطلح الذرائعية كما في كتابهما " دليل الناقد الفني" حيث وصفاه بالذرائعية الجديدة؛ يقولان: "أما وصف هذا الاتجاه بالذرائعية، فيعود إلى كونه امتدادا لفلسفة معروفة بهذا الاسم أسسها الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس في القرن التاسع عشر[1]. نرى بأن مصطلح التداولية ارتبط بما له علاقة بالأفعال والوقائع الحقيقة.

وفي هذا الشأن يشير يوسف أبو العدوس إلى استعمال مصطلح" الذرائعية " عند بعض الباحثين ولكنه يتوقّف عند التداولية كمصطلح مقابل pragmatisme، ويفضل في نهاية الأمر الترجمة الحرفية ويوظفها في دراسته ويسميها: "البرجماتية مصطلحا نقديا"، إلا أن الترجمة الحرفية لا تُعد حلاً لأن الخلط لا يزال قائما في صفوف الباحثين ، [2] ويقترح مازن الوعر مصطلح " الوظيفية أو النفعية " مقابلا لمصطلح "pragmatics" وهناك من الباحثين اللذين لم يميزوا بين المصطلحين في أثناء نقلهما إلى العربية رغم دعوة البعض منهم إلى الحذر من الخلط بينهما باعتبار "pragmatisme" مذهبا فلسفيا يركز على الواقع العملي للبشر ولا ينضوي وراء القضايا المطلقة والمجردة ، فالرجوع والاعتماد على دعامة " الواقع العملي" هو الذي أدّى بالباحثين إلى عدم الرّكون إلى الحدود الفاصلة بينهما، يقول أحدهم: (وهذا الخلط ينطوي على خطأ بيّن فالفلسفة الأمريكية البرجماتية النفعية لا تظم بداخلها التداولية اللغوية... ولكن يبدو أن اشتراك بيرس في التأسيس للسيموطيقا التي تولدت عنها التداولية بشكل ما على يد موريس فيما بعد، واشتراكه كذلك في التأسيس للمذهب الفلسفي المعروف كان له أكبر الأثر في انزلاق بعض الباحثين في هذا الخلط).[3]

من خلال الكلام عن الفرق بين المصطلحين " pragmatics " و" pragmatisme "؛ من حيث نقلهما إلى الدرس اللساني العربي، يحيلنا حتما إلى عدم توظيفهما في المقام ذاته باعتبار الأغراض التي جاءا من أجلها؛ وهو ما يؤكده نعمان بوقرة في قوله : " إن الحديث عن البراغماتية يستوجب تمييزها عن مصطلح آخر استعمله البعض للدلالة عن البرغماتية

[1] ميجان الرويلي، و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص167.

[2] ذهبية حمو الحاج، مصطلح التداولية إشكالات الوضع والاستعمال في الدرس اللساني العربي، مجلة علوم اللغة و آدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، العدد 13،ج 2، جانفي 2018، ص: 104.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نفسها وهو " الذرائعية"، ونجد تحت البراغماتية من حيث هي منهج توجهات مختلفة ؛ ففي البدء كانت تعنى بخصائص استعمال اللغة...إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال و التلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري، وتنافسها في الاستعمال الذرائعية التي تعبر عن نظرية تهتم بالفائدة العملية لفكرة كمعيار لصدقها، وتعتبر فكرة الموضوع ماهي إلا مجموعة الأفكار لكل الوقائع المتخيلة، والتي يمكنها أن تأخذ أهمية عملية يمكن إلصاقها بهذا الموضوع، هذا يعني عدم تكافؤ المصطلحين في المفهوم؛ بخاصة أن الذرائعية تعبر عن مدرسة فلسفية معروفة باسم يختلف هدفها عن الأولى.[1]

إلى جوار هذه الترجمة الحرفية للمصطلح ظهرت ترجمات عدة منها" السياقية "، فماهي أهمية السياق التي دعت أحد الباحثين، بتسمية التداولية بالسياقية؟.

2- مصطلح السياقية:

يمثل السياق في الدراسات اللغوية والبلاغية والأدبية –العلوم الإنسانية أيضا – الماء الذي يتدفق في ثنايا البحث، قد لا تتم الإشارة إليه مباشرة، ولكنه حاضر بقوة في أي قراءة تغوص في مسالك النص، وتطوف بدروبه، وتطمح إلى توليد المزيد من الدلالات والمعاني والمرامي والرسائل، وتروم صياغة المصطلحات وتشكيل النظريات، فالسياق هو الحاضر الغائب في وعي الباحث والدارس والمنظر والطالب. [2] كما أولت بعض الدراسات الحديثة، وبخاصة عند بعض علماء اللغة الغربيين، اهتماما خاصا بالسياق، فقد عرفت مدرسة لندن ما يسمى بالمنهج السياقي أو المنهج العملي وكان زعيم هذا الاتجاه" فيرث Firth" ،الذي يرى أنَّ‹‹ الميزة الجوهرية التي تتميز بها اللغة الإنسانية هي وظيفتها الاجتماعية، وأن إنتاج الملفوظات اللسانية يتم في إطار سياق الموقف الاجتماعي والثقافي ››[3] أي أن اللغة ههنا ظاهرة اجتماعية يشترك في إنتاجها جميع الظروف النفسية والعاطفية والاجتماعية.

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة، د ط، د ت، ص 165.

[2] محمد عبد العزيز عبد الدايم، عرفات فيصل المناع: نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، مؤسسة السياب، لندن ط 1، 2015، ص 100.

[3] المهدي ابراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهيري، د ط،2011، ص:14.

لقد تبلور اتجاه فيرث فيما عرف باسم النظرية السياقية، ومن ضمن ما أكد عليه فيرث في هذه النظرية قوله: " بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ ووضعها في سياقات مختلفة، فالمعنى عنده يفسر باعتباره وظيفة في سياق".[1] وتدفع أهمية السياق "**بماكس بليك**" إلى إعادة تسمية "البراغماتية" "بالسياقية"، الأمر الذي أدى بكثير من الدارسين إلى مقاربة مصطلح التداولية بالسياقية.[2]

حيث نلاحظ أن السياق الذي أهمل في الدراسات السابقة برزت مكانته مع اللسانيات التداولية حتى أصبح القاسم المشترك بين كل نظرياتها لاسيما وأنه الوحيد الذي يستطيع تحديد خصائص كل منها [النظريات]، للسياق دور في الانتقال من مستوى إلى مستوى آخر من التداولية، ففي كل مستوى يؤخذ قسم منه بعين الاعتبار، وبذلك يمكننا تصور تعقده من مستوى الى أخر.[3] لقد غدا مصطلح السياق من المصطلحات الشائعة والمؤثرة في الدرس اللغوي الحديث، منذ ابتدعه "مالينوفيسكي"، ليتسع مفهوم السياق خصوصا في الدراسات التداولية بما أنها تعده أساسا من أسسها المكينة.[4]

وخلاصة القول تظهر أهمية السياق بالنسبة للتداولية؛ من حيث تحديد قصد المتكلم، وتأثيره في السامع كما أن مفهومه شائع في الدراسات التداولية واللغوية فهو بمثابة المحرك الاجتماعي، في العملية التخاطبية ، فالعناصر السياقية، هي الرصيد المشترك بين المتكلم و السامع، كما أنه من أيسر الطرق لمعرفة العملية التداولية، ولا بد من ادراك السياق بكل أبعاده فهو يمثل حلقة تداولية. وفي الأخير يمكن القول أن مصطلح السياقية أطلق على التداولية؛ لأن السياق يبحث في استعمال الكلمة وبالتالي لهما المهام نفسها، لكن هذا لا يعني أن لهما المعنى نفسه.

---

[1] المرجع السابق ، ص 14.

[2] منال النجار، مفهوم البرغماتية ونظرية المقام– ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة–، إشراف، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 2، 2014، ص: 74.

[3] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، مطبع الأمل، تيزي وزو، ط 2، د ت، ص: 20.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة، ليبيا – بنغازي، ط 1، 2004 م ، ص 40.

ونجد من الترجمات أيضا مصطلح (التخاطبية) ؛ كيف ظهر المصطلح؟ ومن هو مستعمله؟، وعلى ماذا استند صاحبه في هذه الترجمة؟. هذا ما سنعرفه في هذا العنصر.

3- مصطلح التخاطبيـة :

هناك اتجاه آخر؛ غيروا مصطلح التداولية إلى" علم التخاطب"، وقد اتكأوا في ذلك على التراث الأصولي وكذا البلاغي والنحوي، وهؤلاء يحتفون بالخطاب والاستعمال كما فعل الأصوليون والبلاغيون من قبل ويجعلونه مقابلا للوضع، ويحاولون مع ذلك استحضار التداولية المعاصرة في التأسيس لهذا المصطلح بالمزج بين أصول الفقه والتداولية، ومن هؤلاء نذكر الباحث المغربي محمد محمد يونس علي إذْ يعرف علم التخاطب بأنه :‹‹ دراسة كيف يكون للقولات معان في المقامات التخاطبية ››[1] أو هو " علم يدرس علاقة العلامات بمفسريها " [2]، أي أنه يدرس اللغة في سياقاتها الفعلية .

ويرى محمد محمد يونس علي، أن علم التخاطب يتراوح بين الدارسين الأصوليين منهم واللسانيين غايته «حصول التفاهم بين المتخاطبين، وتشمل مسائله كل العناصر التي تساهم في إحداث التخاطب من وضع، واستعمال وقرائن...وكل النظريات الدلالية ذات الصلة بالاستعمال والسياق». [3] حيث فضل ترجمة مصطلح pragmatics بعلم التخاطب .

وهو ما أكده محمد محمد يونس علي بقوله:" أفضّل ترجمة مصطلح pragmatics بعلم التخاطب، ليس بالتداولية، أو النفعية، أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهما منهم بأن pragmatics، أو pragmatism شيء واحد. والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام وهو ما يتفق مع معناها الحرفي وهو "علم الاستعمال" وإذا نظرنا في تراثنا البلاغي، والأصولي فسنلحظ أن الاستعمال – الذي يقابل الوضع عادة – يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب ؛ ولذا فإن ترجمة pragmatics بعلم التخاطب أنسب– في رأي –من الخيارات

[1] محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م ص:13.

[2] المرجع نفسه، ص: 14

[3] محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 2006، ص08

التي اطلعت عليها حتى الآن، أما"pragmatism " فهي مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعا مالم تكن لها تطبيقات عملية – وهو ما أشرنا إليه في تعريف البراجماتية – وعلى الرغم من وجود صلة منهجية بين المجالين (و المصطلحين) تكمن في التقليل من شأن المجرد، والعناية بما هو عملي وسياقي، ومتحقق فعلا، فإن اهتمام الحقل المسمى بـ" pragmatics" يقتصر على اللغة خاصة في حين يعنى الحقل الآخر بالفلسفة، وإن امتدت آثاره إلى السياسة وعلم الاجتماع، وغيرهما. ومنه فسواء أخذنا بالتداولية أم بالتخاطبية، فالمصطلحان معا أفضل بكثير من مصطلح الذرائعية الذي يحيل على الفلسفة المنفعية أكثر مما يحيل على اللغة ومكوناتها[1]. أي أن سبب تغيرهم للمصطلح استنادهم على الإجراءات الأصولية في مقاربة النص والخطاب واعتدادهم بالتراث الإسلامي .

وأخير يمكننا القول بأن نشأة هذا المصطلح راجع إلى استحضار التداولية المعاصرة بالمزج بين أصول الفقه والتداولية، وبذلك لقي مصطلح التخاطبية رواجا واستئناسا من لدن دارسي أصول الفقه بصفة خاصة ودارسي التداولية والدراسات اللغوية بصفة عامة، وهذا ما تبناه الباحث محمد محمد يونس علي ومن اتبعه .

[1] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص102 (الهامش)

4- مصطلح المقامية :

عرف مصطلح المقام مفهوما واسعا لدى الدارسين وخاصة عند العرب، لأن مصطلح السياق باعتباره المحور الذي تدور حوله التداولية كان حضوره قوياً في النص العربي القديم تحت مسمى "المقام" باعتباره المحور الذي ترتكز عليه البلاغة العربية ‹‹ وهكذا نرى أنّ للبراغماتية جذورا ممتدة من تراثنا البلاغي والنحوي والنقدي فقد أدرك البلاغيون القدامى ظاهرة السياق من خلال عبارتهم (مقتضى الحال) التي أنتجت مقولتهم(لكل مقام مقال) ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، فانطلقوا في مباحثهم حول فكرة المقام وربطها بالتركيب و الصياغة، فربطوا الشكل اللغوي أو الأسلوب اللغوي بالمقام، وألحوا على قيمة دراسة الكلمات دراسة مفصلة، فأصبح معيار الكلام في باب الحسن والقبول بحسب الكلام لما يليق (بمقتضى الحال) و(المقام) و يجد الباحث نفسه أمام مصطلحي "الحال" و "المقام" المرتبطين بالمقال الذي هو النص أو العبارة أو الخطاب »[1] فإذا كانت العرب تستشهد للمقام بالمقولة الشهيرة " لكل مقام مقال" [2] فإنّ الباحث " عبد الخالق رشيد " قد توصل في مقاربته للمصطلحات المتعددة لمفهوم "المقام" كـ "الحال" و" السياق" وغيرها إلى أن: "الحال" أخص من "المقام"، و"المقام" أعم" باعتبار أنّ "الحال" متولد من "المقال" ‹‹ ولعلّ هذا الاضطراب الناتج عن اعتماد ثنائي لوصف الظاهرة الواحدة، هو الذي حذا بالباحثين المعاصرين إلى تفضيل المصطلح الغربي "سياق الموقف" Contexte De Situation" ذي الطبيعة المرنة، المشكل من ملابسات الموقف الذي ينتج فيه الكلام، بكل ما يتّسع له مصطلح الموقف من أبعاد؛ « زمانية و مكانية وخلفيات حضارية وإفرازات ثقافية »؛ [3] لأن "سياق الموقف " يحمل طابعا تداوليا و هو ما أكدته " فرانسواز أرمينكو " Françoise Armingaud" في قولها: ‹‹ و يتميّز " الموقف" بالاعتراف به اجتماعيا كمتضمن لغاية أو غايات وعلى معنى ملازم تتقاسمه الشخصيات المنتمية إلى الثقافة نفسها، وبهذا تتدرج الممارسات الخطابية في

---

[1] منال النجار، مفهوم البرغماتية ونظرية المقام- ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة-، إشراف، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 2، 2014، ص: 74.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر ط3، 1968 ، ج1، ص 136

[3] عبد الخالق رشيد العدول، عن مقتضى الظاهر في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية، إشراف أ د مختار حبَّار، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران ، 2007م،2008م، ص04.

مواقف محددة ضمنياً تارة وتارة من خلال إعلان خاص ›› [1] الأمر الذي يجعل مصطلح "سياق الموقف" باعتباره مجموع الآراء و القيم والحكم التي يتقاسمها المتخاطبون، [2] و يشاكل مفهوم المقام عند العرب، إذ يعدُّ "المقام" مصب كل خطاب تداولي، ذلك أنه يمثل «البؤرة التي تلتقي فيها جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية وقيم بشتى أقسامها، وعلاقة هذه القيم بمراتب الكائنات والأشخاص المعنيين بخطاب ما» [3] فدوره فعال وأساسي في الخطابات الحجاجية ، و‹‹ الخطاب الحجاجي لا يختصر فقط في سلسلة عمليات منطقية و سياق التفكير، بل إنه يركَّب انطلاقا من المعطيات التي يمنحها التعبير على مستوى الاختيارات المعجمية التي تكتسي وجهة حجاجية ››، [4] الأمر الذي جعل اللغويين العرب القدامى يجعلون "المقام" من الأولويات التي تجب مراعاتها بين المتخاطبين لتحقيق التواصل الناجح، فلقد كان نحو سيبويه – على سبيل المثال – نحو مقام بالدرجة الأولى، فهو يقُنِّنُ العبارات التي تلفظ بها العرب، و يورد أوجهها المختلفة، و ما يجوز في عناصرها من حذف وذكر، أو تقديم وتأخير، من منطلق الموقف الذي تنطق فيه ولا شك أن مثل هذا التصور هو الذي كان يوجه الجاحظ في سعيه للكشف عن مستلزمات البيان و التبيين، و هو الذي أسس في ضوئه عبد القاهر الجرجاني نظريته في النظم؛ إذ ما النظم عنده إلا توخي معاني النحو فيما بين الكلمة على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام ›› [5] وهو ما يؤكد أن المقام عند العرب كان يحتل مكانة هامة في مختلف الدراسات اللغوية.

---

[1] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر : سعيد علوش، مركز الإنماء القومي المغرب، ط1، 1987، ص48.

[2] AlgerVOIR–Philippe breton– L'argumentation dans la communication– casbah édition – 1998–p18

[3] محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، مجلة عالم الفكر، مج 28، العدد3 – يناير– مارس، 2000، ص 83.

[4] L'argumentation Dans Le Discours, Ruth Amossy, Paris, Nathan, 1ed, 2000, p23.

[5] عبد الخالق رشيد، العدول عن مقتضى الظاهر في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية، المرجع السابق، ص 05.

فكل قول منجز يسعى لتحقيق فاعليته التأثيرية، و لا يتم ذلك إلا في سياق معين؛ لأن في كل موقف تواصلي تداولي يوجد شخصان على الأقل أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان « فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث »؛[1] و هو ما يفسر الاختلاف في المواقف زمانيا ومكانيا ومن هنا فالتداولية مرتبطة بالمقام الذي يمثل مجموعة الظروف والملابسات المشتركة بين المتخاطبين التي تتأسس في ضوئها العميلة التواصلية التداولية. ومن ثمة سميت التداولية بالمقامية.

و تجدر الاشارة إلي أنه كان مطردا في كثير من الكتابات، استعمال لفظة السياق ومترادفات له من مثل المقام ومقتضى الحال والقرينة،* وكلها تتداخل في الدلالة؛ فالسياق يعني مجرى الكلام وتسلسله و اتصال بعضه ببعض أما المقام فهو الحالة التي يقال فيها الكلام (دلالة مقتضى الحال) وقد يتداخلان أحيانا، فيصبح السياق قرينا بالمعنى، وتبيين المجمل والقطع بعدم الاحتمال، أما قرينة المقام فتدل على المعنى سواء تبينت من السياق أو لا تظهر، وهناك قرائن دالة على السياق وخادمة في توصيل معناه، منها القرينة العلمية؛ أي العلم الضروري الذي يعلمه المخاطب، وقرينة الفهم العام لأهل اللغة، حيث ينبري أهل اللغة المتخصصون بفهم وشرح ما غمض من معنى والتبس، وهناك القرينة الحسية المستخدم فيها اشارات الجسد في الوجه واليد والحركة، وأيضا الصوت وتأثيراته النغمة.[2]

---

[1] فان دايك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب ، د ط ، 2000 ،ص 258

* وإن كان بعضهم يفرق بين هذه المصطلحات، في بعض استخداماتها، فهناك من يرى أن السياق أعم من المقام ، وأن القرينة تنقسم إلى لفظية وحالية، وتتدرج تحت السياق، وأن مقتضى الحال يرتبط بأحوال المخاطب والمخاطَب والموقف نفسه. محمد عبد العزيز عبد الدايم، عرفات فيصل المناع: نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، مؤسسة السياب، لندن ط 1، 2015 م ص 111.

[2] محمد عبد العزيز عبد الدايم، و عرفات فيصل المناع، نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، مؤسسة السياب، لندن ط 1، 2015 م، ص 111.

أما من الاصطلاحات التي شاع استعماله بين الدارسين و الباحثين وفي الجامعات المغربية خاصة، مصطلح له جذوره في اللغة العربية، مصطلح (التداولية)، فمن هو أول من قال بهذا المصطلح وكيف برَّر موقفه؟ وهل اتبعه الباحثين في ترجمته؟، وإلى أي مدى وُفِّق في تبرير رأيه؟ ذلك ما سنعرفه في هذا العنصر

5- مصطلح التداولية:

من خلال ما قدمناه من مصطلحات متعددة و التي كانت في مقابل المصطلح الأجنبي (pragmatique) خاصة في الوطن العربي، لاحظنا اختلافا كبيرا من باحث لآخر في تسميتهم له. فقد اختلفوا في ترجمة مفهوم التداوليات وهو الاسم الذي أطلقه طه عبد الرحمان على هذا الدرس اللساني الحديث، فقد اختار ترجمة (pragmatique) إلى التداوليات، معللاً ذلك بقوله: «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي (براغماتيكا)، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين " الاستعمال" و" التفاعل" معاً ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم» [1] وقد أخذ طه عبد الرحمان في اقتراحه لهذا المصطلح بالصلة التي تربط بين الدلالة الاصطلاحية والمفهوم اللغوي، يقول:" تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله وأداروه فيما بينهم" ومن المعروف أيضا أن مفهوم "النقل" و مفهوم " الدوران" مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة، كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة؛ فيقال:" نقل الكلام عن قائله" بمعنى رواه عنه،" دار على الألسن بمعنى جرى عليها، كما يقال: " كما يقال دار على الشيء ؛ بمعنى "طاف حوله "،ف النقل والدوران، يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة في الناطقين، أو قل على معنى "التواصل" ويدلان في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين ، أو قل معنى "التفاعل" فيكون التداول جامعا بين جانبين اثنين هما: التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل ."[2]يضيف طه عبد الرحمان:" أما عن المعنى الاصطلاحي الذي نستعملها فيه، فقد أردنا أن يكون موصولا بهذا المدلول اللغوي وصلا، لأن هذا الوصل هو

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط 2، 2000، ص 28.

[2] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، د ت، ص 244.

الذي يجعل أوصافه الإجرائية مألوفة ومقبولة، وينقل إليها الانتاجية الموروثة والمبثوثة في هذا المعنى الأصلي، وعلى، هذا، فالتداول، عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم." [1]

ندرك بالارتكاز على منهجية التوليد المصطلحي التي تقضي وجود علاقة بين الدلالة اللغوية، والمفهوم الاصطلاحي أن مصطلح التداولية الشائع بين الكثير من المتخصصين هو الأنسب لهذا الحقل من غيره من الاقتراحات لأنه اصطلاح اصيل في ثقافتنا العربية ومؤسس وشامل.

أما الترجمة الحرفية لمصطلح (pragmatique) (بالبراجماتية) فهي لا تحافظ على هوية لغتنا؛ بل إن تكريس هذه الآلية من غير استنفاذ الآليات الأخرى التي تبقى في حدود ما تمليه العربية، يهدد الأمن اللغوي لمجتمعنا.

ولأن مصطلح التداولية يفي بالغرض المطلوب من حيث المعنى والاستعمال فإن ذلك ما جعل أغلب الباحثين يفضلونه عن المصطلحات الأخرى، وهو ما يؤكد عليه جميل حمداوي في قوله: "يترجم مصطلح التداولية بعدة كلمات باللغة العربية فهناك الذرائعية، والتداولية و البراجماتية و الوضيفية والاستعمالية و التخاطبية والنفعية والتبادلية..... لكن أفضل مصطلح في منظورنا، هو« التداولية»؛ لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب و التواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى.[2]

[1] المرجع السابق، ص نفسها.

[2] جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط 1، 2015، ص 6.

ويمكن أن نقوم برصد عام لمصطلح التداولية وفق النمط الذي نُقل به من اللغة الانجليزية، أو الفرنسية ، ويكون مصطلح التداول الوارد في تراثنا العربي–المعاجم العربية– أقدم مقابل لمصطلح (pragmatique)، وذلك عند اغلب الباحثين نرصد من بينهم:

- ✓ محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر2002.
- ✓ عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية 2004.
- ✓ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب2005.
- ✓ نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة 2009.
- ✓ جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب 2015.
- ✓ سعيد علوش: المقاربة التداولية 1979.
- ✓ صابر الحباشة: التداولية من أوستن إلى قوفمان 2007.
- ✓ منذر عياشي: القاموسي الموسوعي الجديد لعلوم اللسان 2007.

لقد عمل الدارسون العرب على ايجاد المقابلات العربية التي من شأنها أن تحتضن المفاهيم المتولدة عن هذا المجال وقد لاحظنا أن أهم اشكالية هي قضية ايجاد المقابل العربي الأصيل للمصطلح الأجنبي، بالإضافة إلى العلاقة التي تفتضيها منهجية الوضع الاصطلاحي بين الدلالات اللغوية للمصطلح والمفهوم المبتغى، بما يحقق التوحيد الاصطلاحي، للباحثين.

الفصل الأول: ماهية التداولية

1- مفهوم التداولية

أ- في التراث العربي

ب- المفهوم الاصطلاحي

2- روافد الدرس التداولي.

3- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى

4- التداولية عند العرب القدامى والمحدثين

أ – العرب القدامى.

ب- العرب المحدثين.

1- مفهوم التداولية :

لكل مدونة نقطة انطلاقة يدلف ـ الباحث ـ من خلالها إلى ثباتها، وقد رأينا أن تكون نقطة الانطلاق تقديم تعريف لغوي في المعاجم العربية مما يدل على ثبوت هذا المصدر في ترثنا العربي، يليه التعريف الاصطلاحي ـ للتداولية ـ؛ لنبين الأصل الذي نبعت منه هذه التسمية والمعاني والدلالات التي يحيل إليها هذا المصطلح، وهل هذه المعاني والدلالات هي حقا ما نقصده في التداولية الحديثة ؟

أ- في التراث العربي:

يرجع مصطلح [التداولية] إلى الفعل [دول]،الدال والواو و اللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان.

والآخر يدل على ضعف واسترخاء

أما الأول فقال أهل اللغة: اِنْدَالَ القوم، إذا تحولوا من مكان الى مكان. ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بيهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض والدَّولة و الدُّولة لغتان ويقال: بأن الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنما سُمِّيا بذلك من قياس الباب؛ لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا .

وأما الأصل الآخر فالدَّوِيلُ من النَّبتِ: ما يبس لعامه، قال أبو زيد: دال الثوبُ يَدُولُ، إذا بَلِى، وقد جعل (وُدُّهُ) يَدُول، أي يَبلى.

ومن هذا الباب اندال بطنه؛ أي استرخى. [1]

جاء في لسان العرب: والدَّولة انقلاب الزمان من حال ،البؤس والضُّر إلى حال الغبطة والسرور، والدَّولة والعقبة في المال والدُّولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدُّولة .[2]

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م د ط ،ج2، مادة [د و ل]، ص314

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3 ،1994، مج :11، مادة [د و ل]، ص:252-253.

وفي نفس الدلالات نجده في معجم أساس البلاغة " الزمخشري": [1]

- دالت له الدولة
- ودالت الأيام بكذا
- وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه
- والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم
- والدَّهر عُقب ودُول ونُوب .

كما نصادف هذه المعاني في معجم تاج العروس للزبيدي: والدُّولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدَّولة، قال الفراء: قوله تعالى ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُوْلَةً بَينَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [2]،قرأها السلميّ في ما أعلم بالفتح. و قال: ليس هذا للدُّولة بموضع إنما الدَّولة للجيش يهزم هذا هذا ، ثم يُهزم الهازم ، فتقول: "قد رجعت الدَّولة على هؤلاء كأنها المرة". قال: " و الدُّولة بالضم في الملك والسنن التي تغير وتبدل عن الدهر، فتلك الدُّولة (أو هما سواء) بمعنى واحد يُضَّمان و يُفتحان. أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا[3].

وقال أبو عبيد: الدُّولة بالضَّم: اسم الشيء الذي يُتداول به بعينه وبالفتح: الفعل.[4]

الملاحظ على معاجم العربية أنها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر "دول" على معاني: التحول والتبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغير والتبدل والتناقل وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس، يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح "تداولية" أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذارئعية، النفعية، السياقية.

---

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1998، ص 303 .

[2] سورة الحشر الآية:07.

[3] الزبيدي، تاج العروس، تح: محمود محمد الطناحي، وزارة الاعلام بالكويت 16 ، 1413 هـ 1993م ج:28، ص: 506. 505.

[4] أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت،1377 هـ 1958م ، مج:02، ص:476.

ب- ومن شواهد استخدامه في القرآن الكريم :

وردت التداولية بمعناها اللغوي في بعض الآيات الكريمة والشاهد على ذلك قوله تعالى:

قوله تعالى:﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وِللرَّسُولِ وَلِذِي القُربَى وَاليَتَامَى والمَسَاكِينِ وابنِ السَّبيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولةً بَينَ الأَغنياءِ مِنْكُمْ﴾.[1]

وبيانها كي لا يكون ذلك الفيء [دُولة]، يتداوله الأغنياء فيبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ولا يصرفون منه شيئا للفقراء .[2] وفصل تفسيرها الزمخشري، قائلا: "كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يُعطى الفقراء ليكون لهم بُلغَة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به ،أو كي لا يكون دُولة جاهلية بينهم، ومعنى الدُولة في الجاهلية؛ أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدُولة والغلبة، وكانوا يقولون: " من عزيز "؛ والمعنى: " كي لا يكون أخذه غلبة واثرة جاهلية."[3]

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.[4]

نداولها نصّرفها بين الناس، نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء

وقوله تعالى :﴿ وَلَا تَأكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5]

فمجال دلالة [الدُّولة] العام هو التداول أن يكون مرة لدى هؤلاء ومرة لدى آخرين ،ولعل أهم ما يستأثر به اللفظ هو معنى: المشاركة وتعدد مواضع التداول .

---

[1] الحشر الآية :07.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، د ط، ج 4، ص 336 .

[3] جار الله الزمخشري، تفسير الكشّاف ، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ط 3، 2009 م، ص:1094

[4] آل عمران :140.

[5] البقرة الآية: 188.

ج- المفهوم الاصطلاحي:

يسود الإبهام كثيرا من المصطلحات والمفاهيم التي تخص الحقل التداولي، فالتداولية نفسها عبارة عن مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ومتساوقة في النظر إلى اللغة بوصفها نشاطا يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد، وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي اكتنف التداولية، فإن مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات، التي لم تتمكن المدارس اللسانية . منها البنيوية . من الإجابة عنها، قد وجدت سبيلها في هذا الاتجاه .[1]

ويعتبر مصطلح التداولية هو الترجمة الأكثر رواجا للمصطلحين؛ الإنجليزي (Pragmatics)؛ والمصطلح الفرنسي (Pragmatique)؛ اللَّذين يشيران إلى المذهب اللغوي الأحدث في علم اللغة المعاصر، والذي نحن بصدد التعريف به، وهي الترجمة الأنسب خصوصا إذا أخذنا بعين التدقيق أن الـ: (Pragmatics) هي بالأساس دراسة اللغة من منظور تداولها بين مستعمليها، وليست ترجمة لمصطلح (pragmatisme) الفرنسي لأنه يعني الفلسفة النفعية الذرائعية- كما أشرنا إليه-.[2]

لكن هذا الفرق لا ينفي العلاقة الفكرية والمعرفية بينهما، إذ أن التداولية تأخذ من المذهب الفلسفي أرضيته المفهومية وهو ما سنكتشفه عند حديثنا عن نشأة الدرس التداولي.

رأينا أن نبدأ بأقدم تعريف لصاحبه" شارل موريس "، حيث اعتمد عليه كل من عرّف التداولية بعده، لذا فهو جدير بأن يعد التعريف المؤسس لباقي التعريفات.

[1] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن ط 1، 2012 م، ص:10.

[2] فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الأصوليين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط 1،بيروت، 2016 م، ص 30 .

ظهر المصطلح (Pragmatique)،التداولية لأول مرة سنة 1938م مع الفيلسوف الأمريكي" شارل وليام موريس"[Charles Wiliam Moris]، في مقال كتبه حول تصنيفه لفروع السيمياء العلوم التي تعالج اللغة و هي:[1]

- **علم التراكيب:** ويدرس العلاقة بين العلامات اللغوية.
- **علم الدلالة:** الذي يبحث في الدلالة اللغوية؛ أي علاقة العلامات بما تحيل إليه في الواقع .
- **التداولية:** التي تهتم بالعلاقات القائمة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، وبالنسبة له تدرس التداولية الحالة التي تنتج فيها عملية التواصل .

على أن تعريف موريس للتداولية، ظل واسعا وفضفاضا يتعدى حدود ما هو لساني إلى ما هو سيميائي، بل ويتعدى المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي.[2]

وعرفها كل من آن ماري ديلر[Anne Marie Diller]، و وفرانسوا ريكاناتي [Francois Recanati]، إن التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية. [3]

في هذا السياق يقول د محمد محمد يونس علي: " تحظى الجوانب التخاطبية والنصية بأولية خاصة في فهم الكلام، دون إهمال البنية الصورية للغة ".[4]

كما أحصى فليب بلانشيه، عدة تعريفات للتداولية: "التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية"، وهي كذلك: " الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية و الحدثية و البشرية الموسوعة الكونية".[5]

[1] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، الطليعة للنشر بيروت، لبنان، ط، 2003، ص29.

[2] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص20.

[3] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص8.

[4] محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الاسلامي، ص: 28

[5] فليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان تر: صابر الحباشة، دار الحوار سوريا، ط1، 2007 ،ص ص18 19.

ومن الباحثين من ينطلق في تحديد مفهوم التداولية من عدة وجهات منهم الباحث جورج يول، حيث يعرف التداولية من خلال مجالات أربعة، تهتم بها التداولية، واختصت بها دون غيرها وهي على التوالي؛ المتكلم، السامع، المتلقي، العوامل المادية والاجتماعية وهي:[1]

- **أولا من جهة المتكلم:** دراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب، و يفسره المستمع أو القارئ ..." التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم" .
- **ثانيا من جهة السياق:** تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق في ما يقال ... "التداولية هي دراسة المعنى السياقي".
- **ثالثا من جهة السامع:** الكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالات، حول ما يقال للوصول إلى تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم..."التداولية هي كيفية إيصال أكثر مما يقال".
- **رابعا من جهة العوامل المادية والاجتماعية:** ينطوي القرب المادي أو الاجتماعي أو المفاهيمي على خبرة مشتركة حيث يحدد المتكلمون مقدار ما يحتاجون قوله، بناء على افتراض قرب المستمع أو بعده ..." التداولية هي دراسة التعبير عن التباعد النسبي ".

وفي نفس السياق تعرفها فرانسواز أرمينكو:[2] " بأنها دراسة الشروط القبلية للتواصلية، كما هي، فلا يوجد لها طابع يرتبط بكليات الاستعمال التواصلي عامة ".

كما نرصد تعريفات أخرى للتداولية، عرفها فرانسيس جاك: " بأنها كل ما يتعلق بعلاقة الملفوظ بالشروط الأكثر عمومية عند المخاطب ".

[1] جورج يول، التداولية، تر: د قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان،ط1، 2010، ص ص 19 20.

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 84.

تأتي أهمية التداولية، من هنا؛ في كونها تهتم بمختلف الأسئلة الهامة، والإشكاليات الجوهرية في النص الأدبي المعاصر؛ لأنها تحاول الإحاطة بعديد من الأسئلة من قبيل:[1]

من يتكلم وإلى من يتكلم؟.

ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟.

ما هو مصدر التشويش والإيضاح ؟.

كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟.

من خلال التعريفات المتعددة للتداولية، نستنتج تعدد جوانبها والذي أسفر عنه تعدد في تحديد ماهية التداولية، مما أدى عدم استقراره، وتعدد جوانب بحثه. وما نلاحظه تقارب التعريفات في ما ركزت عليه وهو فكرة الاستعمال اللغوي، حيث ترددت في أكثر من تعريف، و يتضح جليا أن الجانب اللغوي مرتبط بوظيفته الاجتماعية التأثيرية في المتلقي، مما يشير إلى ضرورة الالتفات إلى الجانب التواصلي للغة واستعمالها في الخطاب وتنقل الاهتمام من اللغة المجردة إلى اللغة المستعملة.

قبل أن نورد أهم التعريفات للباحثين العرب، نشير إلى أن" طه عبد الرحمان "من الباحثين المعاصرين من يحصر المفهوم اللغوي، أو يجعله منهجا ولا يتعداه إلى ما هو متعارف عليه في الدرس اللساني ،حيث تناول (طه عبد الرحمن) هذا المفهوم لتقديم منهج التقريب التداولي للتراث الإسلامي، باقتراحه مفهوم المجال التداولي إذ يقول: (تداول الناس كذا بينهم ، يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم، ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة ،فيقال: نقل الكلام عن قائله بمعنى رواه عنه ،ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها. فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل، وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين فيكون التداول جامعا بين اثنين هما التواصل و التفاعل، فمقتضى التداول أن يكون القول وصولا بالفعل).[2]

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، مرجع سابق، ص ص: 243 – 244.

وتعني التداولية في الاصطلاح اللساني ذلك الاهتمام المنصب على مستوى لساني خاص، يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق التواصلي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية، وبعبارة أخرى: إن التداولية تركز: اهتمامها على مجموعة الضوابط والمبادئ التي تحكم عملية تأويل الرموز والإشارات اللغوية، في إطار التواصل البشري.[1]

ويعرفها محمد محمد يونس علي: والواضح أن مصطلح "pragmatics" يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها الحرفي، و هو علم الاستعمال.[2]

ويعرفها أيضا: "علم التخاطب" الذي يعنى بدراسة استعمال اللغة، وفهمها. أو بالمعنى في علاقاته بالمقامات التخاطبية ".[3]

من خلال التعريفين نلاحظ أن: محمد محمد يونس علي يؤكد على دراسة المعنى الذي يحدد موضعه في المجال الاستعمالي أو الإنجازي لما نتكلم به أي علاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال، كما أنها وسيلة معرفية نلجأ إليها لفهم ومعرفة وتمييز أن ما نبحث فيه له قيمة ومعنى أم ليس له ذلك؟، أو تهتم بالمعنى داخل المقام الذي ينتج فيه الخطاب أي الصيغة الاجتماعية بين المتحاورين.

ويعرف مسعود صحراوي التداولية:" التداولية علم جديد للتواصل، يعنى بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوية والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ...فالتداولية علم الاستعمال اللغوي.[4]

يصف مسعود صحراوي التداولية بالجدة، مركزا من خلال تعريفه للتداولية على كونها علم يُعنى بتأسيس مبادئ وآليات شاملة لإنجاح العملية التخاطبية ومن ثمة التركيز على المتكلم والمخاطب والسياق الذي يجري فيه الحوار، بالإضافة إلى إشارته على الجانب

[1] مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مكتبة عدنان، بغداد، ط1، 2015 ، ص14.

[2] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، مرجع سابق ،ص102[الهامش].

[3] محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، مرجع سابق، ص 27.

[4] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص ص 16- 17 .

الاستعمالي، و يراد به استعمال المتكلم للمفردات التي يشاركه في فهمها المخَاطب، وكذلك إدراك المخاطب لما يحذفه المتكلم من كلام أو ألفاظ تفهم من استعمال كلّ من المتكلم والمخاطب لها، وإنما حذفت بعض الألفاظ لكثرة استعمال المتكلمين أو الناطقين بها، فبات حذفها مفهوماً من قبل الجميع، ولا يشكل حذفها إبهاماً لا يفهمه المخاطب، وعليه فالتداولية تهتم باللغة من جانبها الاستعمالي.

وقد انتبه علماء العربية ومن بينهم الجاحظ إلى أهمية الاستعمال في تحديد وبيان المعاني حيث ذكر الخصال التي من شأنها أن تقرب من الفهم، وتجليها للعقل...و يقول في ذلك في باب البيان و التبيين: المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم و المختلجة في نفوسهم والحادثة في أفكارهم...مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا، والبعيد قريبا ...وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين و أنور، كان أنفع وأنجح.[1]

من خلال هذه التعاريف المقدمة، نستنتج أن التداولية هي العلم الذي يدرس اللغة أثنا الاستعمال، وأنها العلم الذي يدرس المقاصد، ويسمح بتحليل الخطابات وتأويلها. و يُرد التنوع في التعريفات إلى تداخل التداولية مع كثير من العلوم إذ أن جملة من العلوم والروافد المعرفية، أسهمت في تشكيل الاتجاه التداولي. و من بين هذه الروافد الفلسفة التحليلية وهوما سنتعرف عليه في العنصر التالي

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، د ط، دار الجيل بيروت، د ت، ج1، ص:75.

2- روافد الدرس التداولي:

إن الحديث عن الإرهاصات الأولى لظهور الفكر التداولي المعاصر من الأمور المستصعبة؛ ومرد ذلك إلى أن هذا الدرس مدين لعديد من التيارات والنزعات الفلسفية المختلفة. وهو ما سنتعرف عليه في هذا العنصر. حيث كان لها، باع طويل لا يستهان به في مسألة تحريك عجلة نقل الدراسات الفلسفية التقليدية من طابعها التقليدي (السكوني المعياري) إلى طابع آخر قوامه، الحركية، التواصل، والاستعمال، فقد انتبه كثير من الرياضين والمناطقة والفزيائيين إلى حل جملة من القضايا الفلسفية العالقة، من قبيل قضية المعنى والدلالة، وقضية اللغة وقدرتها على التعبير عن الفكر، وقضية علاقة اللغة بالعالم.

2-1 الفلسفة التحليلية:

لا يماري أحد في أن البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلو سكسونية، وقد تطور في الولايات المتحدة وانجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة، وبسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأولي من مشاكل، نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب من جهة أخرى، فإذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية يمكن أن نلمسها في الاتجاه التحليلي في الفلسفة وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة والتيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة وحاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها، لهذا اتخذ البحث في القضايا الفلسفية بعدا تجريبيا جديدا.[1] وهو ما سنتعرف عليه في هذه السطور فما هو الدور الذي لعبته هذه الفلسفة في مسار تطوُّر الدرس التداولي.

[1] جواد ختام، التداولية أصولها و اتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م، ص27.

نشأة هذه الفلسفة التحليلية في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة* (FREGEGOTLOB) الذي يمثل الخلفية المعرفية لمختلف التحولات التي شهدتها الفلسفة التحليلية* منذ بداية القرن العشرين وأسس لما يسمى بالفلسفة التحليلية بمفهومها العلمي الصارم في كتابه "أسس علم الحساب" وكانت دروسه في الجامعة الألمانية مورداً لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف الأصقاع الأوربية لا سيميا ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة إنتاجه المكتوب،[1] حيث أسهم منطق فريجه في إمداد الفلسفة التحليلية بما كانت تروومه مقاربة مسألة اللغة، مقاربة منطقية، للتحقق من حسن مقاربة المسائل الفلسفية و علميتها، كما تزامن ميلاد الفلسفة التحليلية مع الدعوة إلى مدارسة المسائل الفلسفية بواسطة تحليل اللغة.[2] ومن هذا المنطلق يمكن القول إن مجيء هذا المنهج الفلسفي كان بمثابة ثورة فلسفية أخذت على أعناقها توجيه الفكر الإنجليزي إلى بوتقته الأصلية المتمثلة في الاتجاه التجريبي، الذي يقوم على التفاضل مع القضايا والإشكالات ويتحقق هذا في إطار تجريب كل ما هو جزئي مباشر.[3]

وكان فريجة ** قبل ذلك قد ألح وهو رائد تجديد الدراسات المنطقية، بحق على ضرورة الفصل بين اللغة العلمية التي غايتها تحديد الحقيقة، وبين اللغة العادية التي غايتها تحقيق التواصل،[4] إذ على الأولى أن تكون ثابتة المعنى محافظة عليه، بينما الثانية هي في حاجة إلى إبهام لتأدية وظيفتها، فهي غنية ومبهمة وغير واضحة، فالأولى تسجل وبدقة عالية

---

*عالم في الرياضيات وفيلسوف ومنطقي ألماني [1848م 1925م] فتحت أعماله الباب على مصراعيه لنشأة علم الدلالة، وإليه تعزى المفاهيم الأساسية التي قام عليها المنطق المعاصر. آن روبول وجاك موشلار التداولية اليوم ص:244

*لعل منهج التحليل الفلسفي في أجلى معانيه: هو تقسيم المركبات إلى جزيئات بسيطة ويتحقق ذلك عن طريق حذف كل ما هو مركب رمزي في أي صياغة لغوية للتمكن من الوصول إلى الدقة في تحديد لأجزاء والعلاقات الكائنة في الصياغة. مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء ، القاهرة،1998، ص:37

[1]مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب،ص18.

[2] مختار زواوي فصول في التداولية ص ص66- 67.

[3]مهران رشوان دراسات في فلسفة اللغة ، مرجع سابق ص23

** لم يكن الهدف الذي كان يرومه فريجه إصلاح المنطق بل حاول وضع أسس علمية جديدة لعلم الحساب ؛ فلقد بدت له عيوب هذا العلم كما كان مزاولا في عصره .كثيرة. ينظرمختار زواوي، فصول في تداوليات، ترجمة النص القرآني ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر ط 1 ، 2017 مص 74.

[4] مختار الزواوي: فصول في تداوليات، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط 1،2017 ، ص 73.

روابطها المنطقية أما الثانية فتدع ذلك فضفاضا مضبَّبا وغير محدد، كما تتمتع اللغة العلمية بالاستقلالية عن علاقات التفاعل والتشخيص، في حين أن اللغة العادية تظل خاضعة لعناصر التفاعل مشحونة برغبة الإقناع والتأثير، مستعينة بقواعد البلاغة والانفعال.[1]وإلى هذا التمييز يضاف تمييز آخر لا يقل أهمية عن الأول وهو الذي يقيمه فريجة بين السياق اللساني، والسياق غير اللساني، أما الأول فمنشأه مبدأ يقر به فريجة؛ ضرورة مقاربة دلالة الكلمة انطلاقا من معنى الجملة، وهذا الأخير يستند إلى مفهوم شروط الصدق: إن التعرف على معنى الجملة يقتضي التعرف على الشروط التي يجب توفرها حتى تصبح الجملة صادقة.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن إسهامات فريجه في حقلي الفلسفة التحليلية والتداولية لا يقتصر على التمييز بين اللغة العلمية واللغة العادية؛ بل إنه خاض جملة من المسائل التي تتصل من قريب بالبعد التداولي للألسن ونخص بالذكر تمييزه بين المعنى والإحالة الذي أضحى إحدى المسائل المهمة حيث تناولتها بالدرس و الافتحاص؛ علمي الدلالة، والتداولية.[3]

لئن حرص فريجه على التخلص مما يشوب الألسن الطبيعية من خصائص التواصل اليومي فإنه في الآن ذاته أسهم في بيان هذه الخصائص والتنبيه على بعدها التداولي

لقد حسمت الفلسفة التحليلية الأمر في تحديد مهمتها، وهي إعادة صياغة الموضوعات الفلسفية وإشكالاتها وفق قواعد علمية جديدة، موَّلية ظهرها للفلسفة الكلاسيكية، عائبة عليها تركيزها على اللغات الشكلية الصورية؛ ومن هنا راحت تؤكد أن أولى المهام الفلسفية هي البحث في اللغة وتوضيحها، وقد عدّ فلاسفة التحليل هذا المبدأ هو نقطة القوة في منهجهم، لأنه لا يمكن فهم علاقتنا بالعالم وما فيه من كائنات بشرية إلا عبر اللغة واللغة وحدها.[4]

[1] ينظر فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص:22.

[2] مختار الزواوي، فصول في التداوليات ص:75.

[3] ينظر، مختار الزواوي، فصول في التداوليات، ص: 74

[4] ينظر فرانسواز أرمنكيو، المقاربة التداولية، ص: 22.

بالإضافة الى رائد الفلسفة التحليلية فريجه فقد ظهر على ساحة هذا الدرس الفلسفي الذي تدين له التداولية في أهم نظرياتها و اتجاهاتها رُوَّاد كان لهم السبق في تطوير أبحاث الفلسفة التحليلية من خلال إسهاماتهم والتي تميزت بالجدة والعمق، والفعالية في هذا العلم،

أمثال: جورج مور،* و برتراندرسل،** ولودفيج فتجنشتين،***وهو الذي كان له الدور الفعَّال في انبثاق الآلية المهمة في النظرية التداولية وهي ظاهرة الأفعال الكلامية بحكم أن هذه النظرية، تكاد تستلهم وجودها من المنطق، إذ تستنبط أساسا من فلسفة اللغة، ونظرية أفعال الكلام بوجه خاص، و كارناب و هوسرل ، و أوستين، و موريس...

وقد تباين الفلاسفة المنتمون إلى هذا الاتجاه الفلسفي وتباينت دوافعهم وأنماط تفكيرهم، مع اتفاقهم على أن التحليل هو الغرض الأساس للفلسفة ليس غير، وهذا التباين دفع بعضهم إلى إنكار وجود جنس موحد، يمكن أن نسميه الفلسفة التحليلية، بل يوجد فلاسفة تحليليون، إذ ليس ثمة فلسفة وحيدة للتحلي، حيث تجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة مفادها أن فهم الإنسان لذاته وعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي تعبر له عن هذا الفهم.[1] إذا الفلاسفة التحليليون يجمعون على مركزية البحث اللغوي في الفلسفة إلا أنهم

---

*جورج إدوارد مور:G.E.Mor:[1873-1958] فيلسوف إنجليزي كان صديقا لراسل، و فتجنشتين، وشارك في تأسيس الحركة التحليلية إضافة إلى دوره الكبير في تجديد الواقعية في بلده انجلترا، لكنه كان يرزح تحت وطأة المثالية الهيجلية الجديدة، له عدة أعمال فلسفية مهمة مثل: دفاع عن الحس المشترك وأصول الأخلاق .ينظر فؤاد كامل، اعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل . بيروت، ط1 1993 م ص:38.

**برتراند راسل B.Russell، [1872م -1980م] هو: شيخ الفلاسفة المعاصرين بلا منازع آتاه الله بسطة في العمر، و الفكر، إذ امتد عمره قرنا من الزمان لا ينقص سوى عامين،... لم يكن فيلسوفا وحسب بل كان رياضيا، منطقيا، وسياسيا، وأدبيا، ورجا تربية وإصلاح، ثار على الفلسفة المثالية مستخدما المنهج التحليلي الجديد، تتمثل مساهمته الأساسية في محاولته الجمع بين المنهج التجريبي، والعقلي من جهة، وكذا محاولته تزويد الفلسفة بالمنهج العلمي، من كتبه أصول الرياضيات. فؤاد كمال: أعلام الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص:18.

*** فتجنشتين L.Wittgenstein: منطقي نمساوي تحصل على الجنسية البريطانية [1889 1951]، أستاذ الفلسفة في جامعة كامبريدج، بحث في أسس الرياضيات، وبداية من 1903، اتجه إلى دراسة اللغات الطبيعية، وضع نظرية ألعاب اللغة، والنظرية الذرية المنطقية، ونظرية استعمال اللغة وهو ما سوف نتعرف عليه في طيات البحث. فؤاد كمال أعلام الفكر المعاصر، ص: 73.

[1] فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الأصوليين، مرجع سابق، ص:37

يختلفون في لغة التحليل أهي العادية [الطبيعية] أم الصناعية ؟...ومن خلال هذا التباين والاختلاف انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاث فروع واتجاهات هي[1]:

الاتجاه الأول الوضعانية المنطقية: يتزعمها (ردولف كارناب) الذي تتلمذ على يد فريجه، ويرى أصحاب هذا الاتجاه في طوره الأول أن اللغة الجديرة بالتحليل هي اللغة المثالية، لكن سرعان ما غير كارناب مواقفه ليهتم باللغات اليومية حيث قام بتأسيس فلسفة ذات جذور تداولية، بعدما أحس أن اللغة ليست مجرد قواعد تبنى بها الجمل؛ بل هي تعبير عن الواقع ودلالة عليه في الدرجة الأولى، فكانت أعماله منطلقات لنشأة التداولية [2].

الاتجاه الثاني الظاهرتية اللغوية: يعد الفيلسوف الألماني(إدموند هوسرل)* من أبرز رواد هذا الاتجاه، ويعود الفضل للظاهرتين في اكتشاف القصدية التي تعد من أبرز الجوانب التداولية غير أن هذه الفلسفة أغرقت في مسائل بعيدة عن الاستعمال اللغوي، ومن ثم فهي اتجاه غير تداولي.[3]

الاتجاه الثالث فلسفة اللغة العادية: لقد اقتفى الفيلسوف النمساوي (لودفيغ فتجنشتين)، أثر فريجه فانتقد مبادئ " الوضعانية المنطقية " وأسس اتجاها فلسفيا جديدا سماه: فلسفة اللغة العادية.[4] وهو الفرع الأخير الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال اللغوية وهو الفرع الوحيد الذي يعد منهجا وظيفيا تداوليا.[5]

---

[1] المرجع السابق، ص:39

[2] ينظر محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1985م، ص:128.

* إدموند هوسرل: فيلسوف ألماني ،[859-1938م]: مؤسس علم الظواهر، درس في لا يبتسج، وبرلين وفيينا، وعمل أستاذاً في العديد من الجامعات المشهورة، أصدر كُتبًا عدّة منها: فلسفة الحساب، مباحث منطقية، المنطق الصوري والمنطق المجاز، ومنهج الظواهر الذي ابتدعه، هوسرل يبدأ من نقد الرياضيات، ليتوصل من ذلك إلى طريقة تمكنه من تحصيل الحقائق الأساسية .فؤاد كمال، أعلام الفكر المعاصر، ص:161.

[3] ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص:23

[4] المرجع نفسه، ص:20.

[5] فضاء ذياب غليم، الأبعاد التداولية عند الاصوليين، ص:40.

حيث اتبع فتجنشتين مقومات تيار الفلسفة التحليلية، وظهر ذلك جليا في محاولته، مع زميله "راسل" * إقامة لغة مثالية لحل القضايا الفلسفية وكان ذلك يصب في إطار نظرية سمياها " النظرية ** الذرية المنطقية "، ومحاولته إقامة لغة مثالية، ثم تراجع كل منهما عن النظرية*** والمحاولة باعتبار أن بالنظرية عيوبا، وأن إقامة اللغة المثالية مشروع يستحيل تنفيذه، لذلك اتجهت جهوده إلى انتقاد مبادئ ومرتكزات الوضعية المنطقية،[1] و تحول فتجنشتين منذ ثلاثينيات من هذا القرن إلى اتجاه فلسفي جديد ونظرة جديدة إلى اللغة وهي ما سميت بفلسفة اللغة العادية .[2]

ونقصد باللغة العادية؛ ترادف الاستعمال المعياري والشائع والمشترك والدارج بين الناس وهو استعمال لا يقتضي معرفة لغوية عميقة ولا متخصصة لفهم الخطاب؛ انها اللغة التي يتداولها الناس ويفهمها الجميع بصرف النظر عن مستواهم الثقافي والمعرفي والمعجمي.[3]

تمثلت هذه الفلسفة في نظرة جديدة إلى عمل الفيلسوف، وطبيعة اللغة، ونظرية جديدة في العلاقة بين اللغة والواقع، وحلول جديدة لمشكلة طبيعة العقل وموقفه من ثنائية العقل والبدن، ونادى أيضا أن اللغة الخاصة ***** مستحيلة، وأن الحالات الشعورية النفسية للفرد لا يعرفها إلا صاحبها رأى فتجنشين أن هذه اللغة غير ممكنة وأن هذه المعرفة الاستنباطية

* حاول فتجنشتين وزميله راسل إقامة لغة رمزية تتجنب كل عيوب اللغة العادية بحيث يكون كل اسم دال على مسمى معين، وتعنى هذه اللغة أيضا بدراسة التركيب الصحيح لمفردات اللغة بوضع قواعد هذا التركيب، كما تدرس قواعد الاستبدال من صورة من الجمل إلى ما ينجر عنها من صور أخرى. ينظر محمود فهمي زيدان، فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 43.

** النظرية الذرية المنطقية: هي نظرية ميتافيزيقية تحلل ما يوجد في العالم من أشياء ووقائع مركبة إلى أبسط ما يمكن الوصول إليه، وتحليل القضايا المعبر عنها ، لذلك تأتي النظرية محاولة لتفسير العلاقة بين اللغة و الواقع .محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص:43.

*** وقد ظهر جليا تراجعه عن مشروع اللغة المثالية والنظرية المنطقية في كتابه الأبحاث الفلسفية والذي لم يرى النور إلا بعد وفاته .ينظر محمود فهمي زيدان رفي فلسفة اللغة ص:52.

[1] ينظر فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الأصوليين، ص ص 38- 39.

[2] ينظر محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص52.

[3] جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص:40.

***** اللغة الخاصة، و يعني بها حديث الإنسان نفسه في صمت .محمود فهمي زيدان في فلسفة اللغة ص:52.

للذات وهم وخداع، ولا بدَّ وأن يعبّر عن الحالات النفسية في سلوك وإلا لا معنى للحديث عنها.[1]

لقد توسع أعلام فلسفة اللغة العادية في تطبيق هذه المنهجية، فشملت مفاهيم أخرى،...وبعض الظواهر، حيث تحدث أوستن عما سماه بالإيهام الوصفي وأصل هذه الظاهرة يرجع إلى الاعتقاد الراسخ في البلاغة ،والفلسفة بأن الملفوظات كلها وصفية، تحتمل الصدق تارة، والكذب تارة أخرى، بيد أن حيزا مهما من هذه الملفوظات لا يصف وقائع، بقدر ما ينجز أفعالا .[2]

وقد كان فتجنشتين من أهم أعلام فلسفة اللغة العادية، وكانت المادة الأساسية للفلسفة عنده هي اللغة، فكان يرى أن جميع مشكلات الفلسفة تُحلُّ باللغة، فاللغة عنده هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمه للغة أو إهمالهم لها، وراح يطوِّر فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمال يفي اللغة، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها. فماهي طبيعة اللغة عند فتجنشتين.[3]

[1] محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص:52.

[2] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص:41

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص: 23.

2-2 طبيعة اللغة عند فتجنشتين:

✓ النظرية التصورية:

ذهب فتجيشين في كتاباته المبكرة، وخاصة كتابه" رسالة منطقية فلسفية"* إلى القول بالنظرية التصورية ** في اللغة والتي تفترض أن اللغة رسم أو تصوير للوجود الخارجي، وأن الاسم الوارد في القضية يمثل الشيء في الواقعة...حيث ترتب على هذا التصور للغة تصور للمعنى يفيد بأن معنى الكلمة هو الشيء الذي تشير إليه.[1] فالفكرة هي المعنى المعبَّر عنه بالألفاظ، وهي تختلف عن الشيء المشار إليه في الواقع.[2] بيد أن هذا التصور يبدو قاصرا لأنه لا ينطوي إلا على جانب واحد من جوانب اللغة المتعددة ألا وهو التسمية، وعندما حاول فتجنشتين التغلب على هذا القصور في نظرته للغة، من خلال التحليلات التي قام بها للغة وخاصة في فلسفته المتأخرة، والمتمثلة في كتابة بحوث فلسفية عثر على حيلة جديدة هي ألعاب اللغة،[3] وهذه المشكلة لها نتيجتها خاصة بالذرية المنطقية في الرسالة حيث حاول في هذا العمل أن يبرهن، على أن كل واقعة ذرية لابد أن تكون مستقلة منطقيا عن أي ذرية أخرى.[4]

---

* تأثر فتجنشتين بمور ورسل تأثرا كبيرا، واضحًا في كتابه الأول رسالة منطقية فلسفية1922"إذ أخذ عنه منهجه في تحليل اللغة والعالم والسعي من أجل تكوين لغة مثالية، أما تأثره بمور فيبدو جليًّا في كتابه الآخر "بحوث فلسفية 1950".فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الاصوليين مرجع سابق، ص: 39. ، و للاستفادة أكثر من هذا الموضوع ينظر هانس سلوجا، فتجنشتين، ت: د صلاح اسماعيل، المركز القومي ، القاهرة، ط1، 2014م،ص ص: 100 -101.

** وقد دوّن هذه النظريات الجديدة في كتب نشرت بعد موته أهمها الأبحاث الفلسفية. ينظر في فلسفة اللغة. محمود فهمي زيدان: ص52.

[1] السيد عبد الفتاح جاب الله، فلسفة اللغة والمنطق، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2014م، ص:24.

[2] فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الأصوليين،ص:37.

[3] المرجع السابق ، ص 25.

[4] هانس سلوجا، فتجنشتين، تر: صلاح اسماعيل، المركز القومي، القاهرة ، ط 1 ، 2014 م ، ص ص 100 -101.

✓ **ألعاب اللغة:**

من أقوال فتجنشتين التي لها سحرها وجاذبيتها أن اللغة لعبة كسائر أنواع اللعب التي يلعبها الناس في أوقات فراغهم. ولم يعط معنى محدد لكلمة "لعبة" هنا بطريق مباشر.[1]فاللغة عند فتجنشتين هي الطريق إلى المعرفة باعتبارها وسيلة لفهم تكوين المعنى في الخطاب، ونظرا لعلاقة التضمن أو التوازي بين اللغة والتفكير فلا سبيل إلى فلسفة التفكير والمعرفة والفهم دون اللغة إذ أن كل شيء يحدث داخل اللغة، فهو يعتبر أن اللغة تتمثل في مجموع الألعاب اللغوية الممكنة، وأوجه الاستعارة متعددة، فاللعبة تتضمن القواعد تماما مثل اللغة، واللعبة فعل مثل اللغة، وبدورها اللغة مكونة من الألفاظ مثلما تتكون اللعبة من قطع وأشكال، واللغة نظام يأخذ فيه كل لفظ مكانه باعتبار محيطه، كذلك تكتسب كل قطعة أو شكل في اللعبة قيمتها من القطعة الأخرى،[2] في هذا السياق يقول فريجة في إحدى مبادئه الأساس في المنطق الفلسفي:" ألا تسأل عن معنى الكلمة بمفردها بل في سياق قضية ما.[3]

من خلال هذا الطرح التحليلي، ميز فتجنشتين بين المعنى المحصل الذي يرتبط بالكلام، وبين المعنى المقدر الذي يرتبط بالجملة. والنّاطق في كلِّ ذلك يتبع قاعدة ويمتثل إليها، وهي لا تعدو في رأي فتجنشتاين، كونها لعبة من ألعاب اللغة، شأنها في ذلك شأن الممارسات الأخرى.[4] وبذلك فإن كل من اللغة واللعبة مؤسسات اجتماعية .

✓ **نظرية الاستعمال:**

لقد نتج عن فكرة ألعاب اللغة هذه نظرية جديدة في المعنى هي نظرية الاستعمال. والتي تقوم على افتراض مؤداه أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة. والهتاف المشهور لفتجنشتين في ذلك هو " لا تسل عن المعنى، بل سل عن الاستعمال"؛ و يقصد بذلك أن معنى الكلمة هو الطريقة التي تستخدم بها في اللغة العادية، وقد عبر فتجنشتين عن ذلك بقوله:" إن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة "، وهذا يعني أن معنى الكلمة يختلف باختلاف استعمالاتها.[5]

---

[1] محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة ص:54

[2] المرجع السابق، ص125 .

[3] فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الأصوليين، ص37.

[4] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة العلمة . الجزائر، ط2، 2012، ص 43.

[5] السيد عبد الفتاح جاب الله، فلسفة اللغة و المنطق، ص: 25.

وبالتالي فإن ألفاظ اللُّغة تخضع للظروف والسياقات المختلفة الخارجة عنها مضافا إلى علاقة اللفظ باللفظ المجاور له، ودور الألفاظ يتوقف على استعمالها، بمعنى أن أهمية الاستعمال لا تنحصر في تحديد معنى العبارات في اللغة؛ بل حتى في وجودها، فيقول: "ما الذي يعطي الحياة للعلامة؟ إنها تعيش من خلال الاستعمال "[1]

لقد كان لهذا الطرح الفتجنشتيني أثراً كبيراً في سياق الفلسفة التحليلية و تيارتها الجديدة وخاصَّة ما أصبح يُعرف في تاريخ الفلسفة المعاصرة بمدرسة "كمبريدج" Cambridg ومدرسة أكسفورد Oxford أو مدرسة أفعال الكلام، وقد مثلتها بعمق تنظيرات كل من جون أوستين وجون سيرل، المتعلقة بنظرية الأفعال الكلامية والتي تعتبر بحق أهم نظرية في الدرس التداولي المعاصر وأجهزته المفاهيمية.

2-3 إسهامات أوستين في التداولية:

كانت لآراء فتجنشتين المتأخرة حول أهمية دراسة اللغة العادية وترك التحليل المنطقي للّغة، أبلغ الأثر على أوستين فتصدى للرد على فلاسفة الوضعية المنطقية في محاضراته التي ألقاها في أكسفورد ما بين عامي 1952 و 1954م، وفي محاضرات دُعي لإلقائها في هارفارد عام 1955. وقد جمعت محاضرات أوستين* التي ألقاها في هارفرد في كتاب نشر بعد وفاة أوستين بعنوان " كيف نصنع الأشياء بالكلمات " 1962.[2]

أنكر أوستين على فلاسفة الوضعية المنطقية أن تقتصر وظيفة اللُّغة على وصف وقائع العالم وصفًا يكون إما صادقًا وإما كاذبًا، وأطلق أوستين عليها المغالطة الوصفية؛** إذ ثمة نوعٌ من العبارات يشبه العبارات الوصفية؛ لكنه لا يصف وقائع العالم ولا يوصف بصدق ولا كذب، من قبيل: قول الزوج لزوجته " أنت طالق"، أو قول أحدهم: "أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان"، أو قوله: "من بُشِّر بولد سميته يحي"، وغيرها من ألفاظ العقود

[1] فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الاصوليين، ص:39.

* علما أن أوستين ترك ملاحظة قصيرة يشير فيها إلى أن آراءه قد تبلورت منذ عام 1938م. فضاء ذياب غليم الحسناوي: الأبعاد التداولية عند الأصوليين ص 42.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص43.

** لم يكن أوستين يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات؛ بل كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو" فلسفة اللغة " . كما عرفناه . آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، ص:31.

والإيقاعات والاعتذار والرهن والأحكام القضائية ...فهذه العبارات لا تصف شيئًا ولا تخبرنا شيئًا؛ وإنما تنجز فعلا وتؤدي عملًا، وهو ما يعرف بالأفعال الكلامية أو اللغوية والتي استأثرت باهتمام الأدباء وعلماء النفس والفلاسفة ، و الأنثروبولوجيين.[1].

من هنا كانت التداولية في نشأتها مرادفة للأفعال الكلامية، فليس بغريب أن يُعدَّ جون أوستين أبًا للتداولية. حيث إن ما طرحه أوستين بخصوص أفعال الكلام فتح نقاشًا واسعًا انخرط فيه ثلة من الباحثين أمثال سيرل، وغرايس، الذي جاء بمبدأ التعاون الشهير، وقواعد المحادثة المنبثقة منه، مركزًا على ظاهرة الاستلزام الحواري الناتجة عن خرق تلك القواعد. وحظيت أفكاره بشهرة واهتمام واسعين، وعندئذ أصبحت التداولية في سبعينيات القرن الماضي على خارطة اللسانيات بعد أن كانت قبل ذلك تنعت بقمامة أو سلة مهملات اللسانيات؛ إذ يودع فيها ركام البيانات المستعصية على التصنيف العلمي بشكل مناسب.[2]

أفضنا من حديثنا عن جهود أوستين، بحق يُعد مؤسس التداولية، ورأينا أن فلسفة اللغة هي الوعاء الفكري الذي انبثقت عنه نظرية أفعال الكلام، بيد أن التصور التداولي، وإن لم يتجسد في إطار نظرية مكتملة المعالم، كان جانبا من جوانب اهتمامات شارل موريسCharles Moris السيميائية، وتبلور أول الأمر في إطار الجهود الساعية إلى توحيد العلوم، التي اضطلع بها عدد من أعضاء حلقة فيينا، ذات التوجه الوضعي المنطقي، من هنا يطرح الاشكال التالي: ما مدى تأثير موريس على الدرس اللساني الحديث،؟ وماهي أهم آراءه التي باتت الحدث الرئيس في نشأة التصور التداولي؟

[1] فضاء ذياب غليم الحسناوي،الأبعاد التداولية عند الأصوليين، ص:43.

[2] المرجع السابق، ص:43.

2-4 إسهامات شارل موريس:

لقد سجلت اللغويات التداولية لتشارلز موريس نجاحه في استلهام أعمال بيرس، كما سجلت له الاستخدام الأول لمصطلح التداولية إذ جعله دالا على أحد أقسام ثلاثة لعلم العلامات أو السيموطيقا، حيث تصنف جهود شارل موريس في إطار البحوث الفلسفية التي راحت تدرس الدليل الذي حظي بمقاربات كثيفة من طرف الباحثين اللغويين ذوي النزعة الفلسفية وبحوث علم النفس السلوكي التي هيمنت على اللغة في وقت ما، باعتبار هذه البحوث الأخيرة تنظر إلى اللغة بوصفها نظاما من السلوك يهيئ المتلقي إلى ردّ فعل ما، إضافة إلى أنه أسهم في تأسيس الدرس السيميائي[1] إلى جانب (بيرس)*

إن المفهوم الذي أوكل للتداولية في العصر الحديث والمعاصر قد صدر من (شارل موريس) سنة 1938 عندما استخدمه للدلالة على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيميائية و هي: علم التراكيب، وعلم الدلالة، وعلم التداولية، وعرف هذا الأخير بأنه: " دراسة علاقة العلامات بمفسريها، ثم عمم هذا التعريف ليصبح علاقة العلامات بمستخدميها" [2]. وجليّ أن العلاقة بين هذه المجالات الثلاثة هي علاقة تكامل، وليست علاقة توازي و إبدال، لأن الفهم التام للملفوظات القولية لا يتم إلا إذا راعيناها جميعا دون إقصاء لأحدها.[3] وهو ما صرح به موريس عندما قال: " تفترض اللسانيات التداولية مسبقا كلا من الدراسة التركيبية والدلالية...لأن المناقشة الحصينة السديدة لعلاقة الأدلة بمؤوليها، تستلزم معرفة علاقات الأدلة بعضها ببعض، وكذا علاقة الأدلة بالأشياء التي

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص:46.

* انحدر بيرس الذي ولد عام 1838،من عائلة ذات شهرة عالمية واسعة ، وأنشأ في الثانية عشر من عمره مخبرا كيميائيا خاصاً به لكنه سرعان ما أظهر ميلا شديداً إلى الفلسفة ...رفضت جامعات أمريكا السماح له بالعمل كمدرس ماعدا إلقاء بعض محاضرات في المنطق بسبب سجاياه المنفرة وغموض أسلوبه، فانقطع عن العمل في المؤسسات العامة 1891م، ولازم مسكنه حتى وفاته عام 1914م، وبعدها جمعت جامعة هارفارد مقالاته ومخطوطاته في ثمانية مجلدات. نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص:171.

[2] محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص:137.

[3] ينظر المرجع نفسه ص:138.

يحيل عليها المؤولين.[1] وعليه فسيرورة العلامة الدليل أو ما يعرف بـ: SEMIOSIS تتضمن في نظره أربعة عناصر هي:

1. العنصر الذي يقوم مقام الدليل أي : الدال.
2. العنصر الذي يشار إليه أي: المدلول.
3. عنصر الأثر، الذي يحدث عند المخاطَب أو المرسل إليه.
4. المؤوِّل.

هذا، ولا توجد هناك تراتبية تنظم هذه العناصر حال كونها تساهم في السيرورة السيميائية، يبدو أن هذه العناصر هي التي أوحت له باستشراف هذه العلوم الأساسية للبحث النظري.[2] ومن أهم طموحات موريس التي كان يصبو إليها هو تجسيد مشروع توحيد العلوم الإنسانية والطبيعية والفيزيائية تحت سقف السيميائية،[3] انطلاقا من علاقتها المزدوجة ببقية العلوم، فهي علم من بين العلوم، وأداة ومنهج في خدمة هذه العلوم،[4] إن العلم – في نظر موريس – وثيق الصلة بالعلامات، فهو يمنح للبشر علامات موثوق فيها، وينظم من جهة أخرى نتائجه في شكل أنساق من العلامات. إن الحضارة لا يمكنها الاستغناء عن العلامات وأنساق العلامات، كما أن الذكاء الإنساني لا ينفصل عن عمل العلامات.[5]

هذا وقد اكتشف فلاسفة التحليل عدة ظواهر لغوية من وجهة نظر تداولية ودرسوها، كما تميز تحليلهم بالجدة والعمق والظواهر المدروسة كثيرة يتعذر التعرض لها في هذا المقام، وأهمها: الإحالة، والاقتضاء، والاستلزام الحواري، ومفهوم الافتراضات المسبقة... وظاهرة الأفعال الكلامية التي تعرضنا لها بشيء من التفصيل...ونجد للتداولية مفاهيم أخرى لها أصولها المعرفية ومنابعها الفكرية التي أخرجتها إلى الوجود وأعطتها شرعية الحياة، مثل "نظرية المحادثة "التي انبثقت من فلسفة غرايس في "مبدأ التعاون"، ومسلماته الحوارية و"

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص:11.

[2] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة،ص:179.

[3] فرانسواز أرمنكيو، المقاربة التداولية، ص11.

[4] المرجع نفسه، ص:24.

[5] مختار زواوي،فصول في تداوليات، مرجع سابق، ص:45.

نظرية الملائمة" التي ولدت من رحم علم النفس المعرفي مستغلة مسلمة من مسلمات " مبدأ التعاون الغرايسية.[1] من هنا فإن التداولية تمثل حلقة وصل قوية بين عدد من العلوم الإنسانية.

إن المتأمل في مراحل تطور التداولية وتحولاتها يدرك لا محالة مدى الارتباط الوشيج الذي ما انفك يصل التداولية بالفلسفة، ونجد لكل واحد من منظريها المعاصرين مستندا فلسفيا يأوي إليه.

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق ص:25.

تتداخل التداولية مع كثير من العلوم إذ أن جملة من العلوم والروافد المعرفية والفلسفية، أسهمت في تشكيل الاتجاه التداولي. فأين تتجلى علاقة التداولية بالعلوم المعرفية الأخرى؟.

3- علاقة التداولية بالعلوم اللغوية الأخرى:

تلتقي التداولية بالعديد من العلوم، سواء أكانت لغوية أو غير لغوية فهي بذالك لا تنضوي تحت علم من علوم التي لها علاقة باللغة، بالرغم من أنها تتداخل معها ولقد ساعدت العديد من الروافد الفلسفية واللسانية و الأنثروبولوجية والنفسية في إغناء حقل التداولية بجملة من المفاهيم والفرضيات فتحولت بذلك إلى ملتقى العديد من العلوم والاختصاصات، إلا أننا سنقتصر على اللغوية منها على نحو ما سنبينه كالآتي:

3-1 علاقتها بالفلسفة التحليلية:

تشمل بحوث رواد فلسفة اللغة الطبيعية كالفلسفة التحليلية التي تعد المنبع الذي نشأت فيه التداولية في الواقع، من خلال أعمال، "فريجه" و"رسل" فيما قدماه للجوانب الدلالية والجوانب التداولية للغات الطبيعية وفي إلحاحهما على وصف اللغة في استعمالاتها دون تجريدها من تداولها العادي.[1]كما أكد فيتجنشتين سنة 1921 حين نشر" رسالة في المنطق والفلسفة " أن الأقوال المنطقية هي تحصيل حاصل ،ومن ثمة ،فهي فارغة من المعنى بما أنها لا تحيل على الواقع وعقب سنة 1930م جعل مهمة الفلسفة وصف الاستعمال للغة ودراسة حالات ورودها (ألعاب اللغة).[2]

و قد تأثر فلاسفة أكسفورد بمذهبه في التحليل اللغوي وهم أوستين و سيرل و جرايس الذين ينتمون أصلا إلى تيار "فلسفة اللغة العادية" وهي الحضن الأول الذي نشأت فيه نظرية أفعال الكلام، حيث كان جل اهتمامهم على أهمية اللغة العادية ودورها في عملية التواصل وتوصيل المعنى من خلال إبلاغ مرسل ما رسالة إلى متلقي يقوم بفهمها وتأويلها وكان هذا

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص50.

[2] فليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص31

من صميم البحث التداولي.[1] ومن هنا كان موضوع التداولية هو دراسة اللغة العادية أثناء استعمالها باعتبارها وسيلة تبليغية تواصلية تأثيرية .

وكانت نظرية أفعال الكلام " كيف ننجز الأشياء بالكلام" لأوستين محاولة جادة ،حيث ساوى فيها بين بنية اللغة وبنية التفكير، واللغة في مفهومه تتجاوز وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير، وقدم بشأن فعل الكلام، حيث رأى كل قول ملفوظ يعد عملا وكان اسهامه المهم في نظرية الفعل الكلامي هو توسيع المنطوقات اللغوية المعروفة ذات الربط المزدوج.[2]

نستنتج مما سبق،أن جهود أعلام الفلسفة التحليلية كان لها أثرها البالغ في التوجه نحو دراسة الكلام ، أو اللغة الطبيعية أثناء الاستعمال ، هذا ما أسهم بدوره في بروز التداولية كعلم يهتم باللغة أثناء الاستعمال

3-2 علاقتها باللسانيات:

تعرف اللسانيات على أنها، الشكل الحديث لعلم اللغة الذي يعرف بعلم اللغة التقليدي ومباحثه التقليدية التي تقوم في الغرب على دراسة اللغة وحدها [3]

أما التداولية فهي " مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه ، وطرق و كيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح ... " [4]

وحين الحديث عن العلاقة بين التداولية واللسانيات وتحديدا اللسانيات البنيوية التي اعتمدت مبادئ سوسير في دراسة اللغة، يشترك الدارسون في قولهم أن التداولية تهتم بالكلام الذي هو غير اللسان المبعد من مجال دراسة علم اللسان في نظر سوسير، حسب قوله: ‹‹اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة ›› أي أن اللسانيات البنيوية تهتم أساسا بدراسة نظام اللغة، دون الاعتداد بنوايا المتكلم وسياق التلفظ، مما ساق آخرين إلى عدّ التداولية لسانيات كلام، مقابل لسانيات اللغة التي أوضحها سوسير .[5]

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص09 - 10

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 53-54

[3] محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، مرجع سابق، ص68

[4] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص05.

[5] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص123.

ويصف رودلف كارناب التداولية، بأنها قاعدة اللسانيات مؤكدا أن أي لسانيات هي بالضورة تداولية مادامت تحيل على المتكلم وحتى على مفهوم القاعدة بما أن كل قاعدة يوجدها الاستعمال.[1]

وتقول آن روبول وجاك موشلار؛ أن التداولية تطورت بفضل اللسانيين، فهي تسعى إلى أن تكون مندمجة في اللسانيات لا كتكملة لها ، كما عرضها أوزفالديكرو من ملاحظة أن الدلالات اللغوية تتأثر بشروط استخدام اللغة ، وهي شروط مقننة ومتحققة في اللغة.[2]

ومن هنا نتوصل إلى أن الحقلين متداخلا ن مع بعضهما البعض، وكل واحد منهما يحتاج إلى الآخر؛ فاللسانيات تعد من الجوانب النظرية التي تعتمدها التداولية والتداولية بدورها أيضا تعتد من الجوانب التطبيقية التي ترى فيها اللسانيات نجاعة قواعدها.

3-3 علاقتها بعلم التراكيب:

إن علم التراكيب هو العلم الذي "يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض"[3] أي يهتم بالتركيب الداخلي للجملة ، مركزا بشكل خاص على علاقة عناصر الجملة بعضها مع بعض ، والتي تحكمها قواعد عرفية ، لا يجوز الخروج عنها ، ومخالفة تلك القواعد يؤدي إلى انتاج دلالة غير صحيحة ولا مقبولة

وعلى الرغم من اهتمام علم النحو العربي بتنظيم سياق التركيب الداخلي، إلا أن دوره لا يهمل في مجال التحليل التداولي، فالعلاقات القواعدية التي تسيطر على نص ما، من خلال ترابط عناصره التركيبية، ليست إلا خطوة أولى في عملية التفسير والفهم التداولي، المرتكز بالأساس على مجموعة من العناصر التي تقتضي بالمحلل اللغوي أن يتجاوز حدود المادة اللغوية، إلى ما يحيط بها من ملابسات عامة وقرائن خارجية، ومن المعروف أيضا أن المعنى النحوي له أهمية كبيرة في عملية التحليل التداولي. فالبعد التداولي حاضر بمجرد

[1] مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، ص 18.

[2] آن ربول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 47.

[3] محمود أحمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص09.

ما ندخل لمفهوم القاعدة النحوية، التي تعد نقطة البداية للفهم التداولي، بوصف التداولية هدفا متطوراً لدلالة التركيب.[1]

وخلاصة القول؛ أن النحاة لم يفهموا من اللغة أنها منظومة من القواعد المجردة فحسب ،وإنما فهموا منها أيضا أنها " لفظ معين " يؤديه " متكلم معين "وفي " مقام معين "لأداء " غرض تواصلي إبلاغي معين " ولذلك جعلوا من أهداف الدراسة النحوية إفادة المخاطَب معنى الخطاب وإيصال رسالة إبلاغيه إليه ،وهنا تكمن نقطة التقاء كل من التداولية وعلم النحو (علم التراكيب)، فكلاهما مكمل لآخر.

3-4 علاقتها بعلم الدلالة:

يعتبر علم الدلالة من بين أبرز العلوم اللغوية فهو "العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى "[2]

وتُعرف أيضا:" بأنها فرعا من فروع علم اللسان الحديث، وبذلك فعلاقته لا تخرج عن علاقة التداولية باللسانيات، المذكورة سابقا، ويرجع افرادها بهذا الحديث المستقل، إلى سببين[3]:

- **الأول:** كل من التداولية وعلم الدلالة، يبحث في دراسة المعنى في اللغة؛ و من الضروري بيان حدود الاهتمام بالمعنى في علم الدلالة، و حدود الاهتمام به في التداولية، مع أن هذه العلاقة يشوبها الكثير من الغموض؛ لذلك فإن التمييز بين السيمانتيكية و البراجماتية ينطوي على ظلال رمادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات" وهما و إن اشتركا في الموضوع (دراسة المعنى)، فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته .

-**الثاني:** من الدارسين من يعد التداولية امتدادا للدرس الدلالي على نحو ما يذهب إليه (لاترافارس) ، ولم تتضح العلاقة بينهما إلا بعد انتشار محاضرات "أوستين" التي كان أولى

[1] أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، د ط ، 2015م، ص 24 .

[2] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998 ، ص11

[3] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص128،127

ثمارها هذا التمييز بين مجاليهماو لعلم الدلالة ارتباط وثيق بالتداولية، فهو "يشارك التداولية في دراسة المعنى على خلاف العناية ببعض مستوياته، ونتيجة لتنامي الاهتمام بالتفاعل بين المعنى والاستعمال، ظهرت اتجاهات حديثة تحاول أن تؤلف بينها " [1]

ويظهر هذا جلياً من خلال التمييز بينهما انطلاقا من فكرة التمييز(الكفاءة) و (الأداء)؛ حيث يصنف علماء اللغة باتفاق، علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة)، أما التداولية فتصنف ضمن الشق الثاني المتضمن للأداء، الإنجاز و استخدام اللغة، فهي بناء على هذا، تقوم على التبعية لعلم الدلالة الذي يعرف شروط المعنى وحقيقتها؛ وتهتم التداولية بعد ذلك بدراسة هذه الشروط حين تربط المعنى بالاستخدام، وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو اخفاقه، وهذه أولى نقطة تنفصل فيها التداولية عن علم الدلالة، لأن استخدام المعنى مختلف عن المعنى.[2]

وعلى الرغم من الكلام السابق لبيان الفرق بين الدلالة والتداولية، يمكن أن يوسم علم الدلالة بكونه أقرب الحقول إلى التداولية، يقول (كرستال) في معرض حديثه عنهما:((يدرس كلاهما تصميم المتكلم وتأثير التفوه في السامع و التضمينات الناجمة عن التعبير عن شيء ما بطريقة والمعرفة والعقائد والافتراضات المسبقة...عن العالم الذي يتحدث عنه المتكلم والسامع)) .[3] بل يمكن القول إن التداولية ابتدأت من حيث انتهت الدلالة.

وبعد كل هذا، يرى الباحث عدم وجود فوارق جوهرية بين العلمين، وهذا الانفصال لا يعني الاستقلال التام القائم على الاستغناء؛ لأن المقولات التداولية تبنى على المقولات الدلالية، كما أنه لا يمكن أن نحصر علم الدلالة في دراسة المعنى بعيدا عن السياق وعن الظروف المقامية، أما التداولية فتهتم بدراسة المعنى وتربطه بالاستخدام مع مراعات المقام والمقاصد[4].

[1] المرجع السابق، ص11

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 128 – 129.

[3] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي المعاصر، ص 40

[4] المرجع السابق، ص 128

وهنا يمكن أن يبدو حيّز للتداخل بينهما، وأن أحدهما يكمل الآخر، حيث تعنى الدلالة بتفسير الملفوظات وفق شروطها وقيودها النظامية، وتحدد المعاني الحرفية لها، مع إشارة إلى أدنى مقاماتها خدمة للنظام اللغوي، لا لمقاصد المتكلمين. وتُعنى التداولية بما وراء ذلك؛ فتربط مقاصد المتكلمين بالمقام المناسب معتمدة في ذلك على شروط نجاح واخفاق العبارة الكلامية مع مراعات السياق الذي وردت فيه، وتكون حينها بين نوعين من المعاني؛ معنى يستقى من الجمل فيما بينها (مجال الدلالة)، ومعنى يُستقى من الوحدة الكلامية كاملة (مجال التداولية). [1]

ومن هنا، فإن علم الدلالة يركز على دراسة المعنى بوجه عام ، أما التداولية فتدرسه في إطار الاستعمال لترصد بذلك العلاقة بين المعنى الأصلي والاستعمالي.

3-5 علاقة التداولية بعلم السيمياء :

تعرف السيميولوجيا (السيميوطيقا) بأنها" ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات، سواء أكانت لغوية، أم أيقونية، أم حركية"، ومن ثم فإذا كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية، فإن السيميولوجيا تبحث في العلامات الغير اللغوية التي تنشأ في حضن المجتمع.[2] أما التداولية يعرفها تشارل موريس بقوله: " التداولية جزء من السيميائية تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات " كما ميز موريس بين التداولية المحضة والوصفية؛ فالأولى تحيل على إنجاز اللغة أو الكلام وتحيل الثانية على البعد التداولي للسيميوزيس [3]

ويعد المنهج السيميائي الراعي الحقيقي لولادة التداولية؛ لما تضمنته من رؤى مفصلية مهمة حددت بموجبها المفاهيم، وازداد بذلك سقف المطالبة بالإمكانات اللازمة التي تدفع نحو زيادة الاهتمام بالواقع واحترامه عن طريق معرفة ما تؤديه الوظائف اللغوية من تأثيرات في المتلقي أي الانطلاق من البؤرة اللغوية القابعة في نص ما إلى مديات الواقع الاجتماعي وذلك بفضل العلامات المتولدة من اللغة وعليه تتكأ التداولية على السيميائية اتكاءا كبيرا حتى قيل عنها إنها الوريث الشرعي للسيميائية

[1] المرجع نفسه، ص ص 129- 130.

[2] جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية، مكتبة المثقف، ط1، 2015م، ص08

[3] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، د ت، ص ص180-181

وعليه فإن التداولية تعود إلى منظري السيمياء مثل العالم السيميائي "بيرس" حيث أشار الجيلاني دلاش إلى أن تأثير "بيرس" في التداولية كان كبيرا جداً، إذ كانت له اليد الطولى في المنعطف الذي حصل صوب اللسانيات التداولية ونمثل موقف "بيرس" – كما وصفه – (هابرماس) العلمي بإسقاط تجربة التطور العلمي صوب السيرورة الجماعية.[1]

وقد نشأت التداولية في كنف علم العلامات الذي أسسه " شارل بيرس"، فهي تحمل المبادئ التي وضعها، والتي بلورها شارل موريس فيما بعد، وتميزت السيمياء التداولية عند بيرس بتصورها الشمولي والدينامي للعلامة، فقد عدتها كيانا ثلاثيا تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية في إطار منظومة تسمى بالسيميوزيس[2]

ومن هنا يتبين فضل السيمياء على التداولية من خلال اهتمامها بالعناصر غير اللغوية المساعدة في الوصول إلى المعنى المقصود، هذا ما يجعل التداولية تهتم باللغة في إطارها الاستعمالي الواقعي.

[1] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص ص73،74

[2] محمود عكاشة، النظرية البراجماتية (التداولية)،ص06

3-6 علاقتها بالبلاغة:

تدرس البلاغة كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها أثناء عملية التواصل بقصد تبليغ رسالة ما، مراعية مقتضى الحال(لكل مقام مقال) . وقد عرفها أبو هلال العسكري:" البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن،[1] أما البحث التداولي فهو يعالج درجات التفاعل الاتصالي بين المخاطِب والمخاطَب وشدة التأثير وقوته، التي تتم بالأفعال الكلامية الموظفة في الخطاب.[2]

وهنا يصبح التداخل بينهما واضح، إذ إنهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة اللغة بوصفها أداة تبليغ وتأثير وتواصل بين المتكلمين.

ومنه فإذا كانت اللسانيات التداولية في أوجز تعريفاتها: "هي دراسة مناحي الكلام أو دراسة اللغة حين الاستعمال فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء الاستعمال". [3]

وإنّ البلاغة العربية والتداولية يشتركان في الاعتماد على اللغة ، بعدّها أداة لممارسة الفعل على المتلقي في سياقات مخصوصة، ولذلك نجد من المحدثين من يُسوّي بين البلاغة والتداولية مثل "جيفري ليتش"، حيث يرى أن البلاغة ‹‹ تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع ›› فكلاهما يهتم بعملية التلفظ والعوامل المتحكمة فيها ، قبل الكلام، وأثناء التلفظ بالخطاب، وإلى غاية إنجازه؛ فالبلاغة والتداولية علمان يتفقان في ‹‹دراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل وعوامل المقام المؤثرة في اختياره أدوات معينة دون أخرى للتعبير عن قصده، كالعلاقة بين الكلام وسياق الحال، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب على الكلم والمقاصد من الكلام ››.[4]

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986م، ص06

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص154

[3] المرجع نفسه، ص ص154-155

[4] باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 07 ، 2001، ص168،169

و لا يميز محمد العمري بينهما؛ يقول: «وحديثنا، يعيد الاعتبار إلى البلاغة العربية في الدراسات السيميائية تحت عنوان جديد: التداولية»[1]،وتتلاقى التداولية التي أرساها (أوستين) في كثير من المفاهيم مع البلاغة القديمة، منذ أرسطو حتى وقتنا الحاضر، لا سيما مع البلاغة العربية في دراستها للإنشاء والخبر في باب المعاني.[2]

ومنه فالمبدأ الذي انطلقت منه البلاغة، وجل العلوم اللغوية العربية، هو مبدأ وظيفي تداولي يقوم على رصد خصائص تراكيب اللغة في علاقاتها بمقامات إنجازها من جهة، وأغراضها التواصلية التي وضعت من أجلها من جهة أخرى[3]

وخلاصة القول أن البلاغة العربية واللسانيات التداولية، يتداخلان ويتشابكان في قضايا عديدة تجعل من التقريب التداولي للتراث البلاغي العربي، منهجا لا يعوزه التأسيس اللساني لما بينهما من وشائج قربى، وصلات في مباحثهما، فالتداولية إذن قاسم مشترك بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية.

[1] محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999، ص294

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص155

[3] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية(مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1978،1،ص95

4- ملامح الدرس التداولي عند العلماء العرب :

إن الذي يدير بصره في أبعاد هذا المصطلح ولا يأسره لفظه بالرغم من حداثته، لا يعدم له أثرا في التراث العربي، فاهتمت الدراسات اللغوية في التراث اللساني العربي ببعض الجوانب التي تعد اليوم من أهم الأسس التي تأسست عليها اللسانيات التداولية، بحيث اشتغل العرب القدامى بدراسة كل ماله صلة بالتواصل اللغوي من الاهتمام بالسامع، واعتبار المخاطب، وبيان دور المتكلم في إنتاج الخطاب، وقد عني هؤلاء بمعيار الصدق، والكذب، ومطابقة الكلام لمقتضى الظاهر أو مخالفته له، ضمن هذا الإطار تعددت أشكال الاهتمام بالأفعال الكلامية في التراث العربي اللساني، فأدرجت في مباحث علم المعاني، وتحديدا ضمن نظرية الخبر والإنشاء، وقد اشتغل ببحثها الفلاسفة والبلاغيون والنحاة والأصليون على اختلاف مذاهبهم أمثال: سيبويه (ت180هـ)، وأبو علي ابن سينا (ت428هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، و أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ)، وغيرهم ، لكن من أهم البلاغيين الذين كان لهم دور طلائعي مميز في التنظير للدرس البلاغي نذكر السكاكي بفضل كتابه " المفتاح " ومن الفلاسفة نذكر الفارابي بفضل كتابه " الحروف" وهو ما دعانا إلى الوقوف والتعرف على أهم أعمالهما، وهذا ما سنتعرف عليه في السطور الآتية:

4-1 التداولية عند العرب القدماء:

أ- عند السكاكي :

يعد "السكاكي" من أبرز العلماء الذين تناولوا بشيء من التحليل والدراسة ظاهرة تجاوز الأفعال الكلامية من معناها الحرفي إلى معناها المجازي السياقي، فقسم الكلام إلى قسمين، وسمي كل قسم بالقانون فكان القسم الأول قانون الخبر، والقسم الثاني قانون الطلب والخبر عنده ما يحتمل الصدق والكذب وإذا طابق الخبر الواقع فهو صادق، وإذا لم يطابقه فهو كاذب، و لعل أوجز تعريف نخلص إليه أن الخبر يعني الكلام الذي يمكننا أن نحكم عليه بالصدق، أو بالكذب، وتكمن أهميته في العملية التواصلية، أما الفعل الكلامي قد يتأسس بمجرد التلفظ به كونه يخلق قاعدة بين المتخاطبين [1]

من بين الومضات التداولية التي نلقاها تفرض نفسها بقوة، تقسيمه للطلب إلى نوعين: النوع الأول في التمني، والنوع الثاني فيشتمل على الاستفهام، والأمر، والنداء، والنهي ويندرج تحت ما يسمى بالتصور؛ الذي تتولد عنه معان حرفية أصلية إذا أجراها المتكلم بشروطها في سياقات مناسبة، أما إذا امتنع إجراء هذه الأبواب على أصلها؛ فإنه يتولد منها ما يناسب المقام[2]

تتّضح المظاهر التداولية لنظرية أفعال الكلام في أضرب الخبر والإنشاء عند السكاكي، من خلال تعريفه لعلم المعاني بأنه:" هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بخواص التراكيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له وأعني بالفهم: فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق على فهمك من تركيب: إن زيداً منطلق إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصودا به نفي الشك، اورد الإنكار أو من تركيب: زيد منطلق من أن يلزم مجرّد القصد إلى

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1. 2000، ص 252

[2] المرجع نفسه، ص253

الإخبار، أو من نحو: منطلق؛ بترك المسند إليه من أن يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار، مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها.[1]

إن هذه التراكيب بمعايير "أوستين " و" سيرل " تشكل أفعالا إنجازية مختلفة بحسب قصد المتكلم والمقام، ولذلك تم استعمالها في صيغ مختلفة، فالمثال الأول يحوي قوة إنجازية دالة على رد الإنكار أو نفي الشك لمخاطب شاك ومنكر للكلام والمثال الثاني: ورد خاليا من أدوات التوكيد، ليدل على مجرد القصد إلى الإخبار فقط فهو فعل إنجازي منوط به الإخبار عن انطلاق زيد وإثباته له، والمثال الثالث يعدّ أيضا فعلا لغويا يفيد الإخبار عن انطلاق زيد، لكن حذف فيه المسند إليه (زيدٌ) مراعاة للمقام، وما الفرق بين هذه الأفعال اللغوية سوى في درجة الشدة بحسب الغرض المتضمن من القول .[2]

يمكن أن نستشف من هذا القول أن التركيب يختلف معناه باختلاف المقام الذي يرد فيه علم المعاني، و مدى اهتمام السكاكي بمقام القول ومطالبته بوجوب مراعاته لتحقيق أغراض ومقاصد المتكلم البليغ، إذ تمكن هذه المطابقة (التلاؤم) بين الكلام والمقام من خلق كلام يتجه نحو الرقي البلاغي وفائدته المرجوة "الحسن والقبول"، وهذا ما تقوم عليه الدراسات التداولية الحديثة " القصد والإفادة ".

كما التفت السّكاكي إلى كلّ ما يحيط بالعملية التّواصلية من سياق ومقام وخطاب و طرفيه مخاطِب ومخاطَب، ووصل إلى أنّ مقامات الكلام مختلفة وكذا أنماط الاستخدام اللّغوي وأشكاله تختلف وتتنوّع بحسب العلاقات الاتصالية ومقتضيات هذا الاتّصال، من مقام المتكلّم إلى مقام السّامع ومقام الكلام وسياقات وروده ، نجد يقول :"لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام التّشكر يباين مقام الشّكاية ومقام التّهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذّم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقامالهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السّؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا

[1] المرجع السابق ، ص 248

[2] غالي فطيمة، تجليات نظرية أفعال الكلام في الدرس البلاغي العربي، د مكاوي خيرة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، التراث النقدي ومناهج القراءة الحديثة، اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم – ، 2013م، 2014م، ص140

مقام الكلام مع الذّكي يغاير مقام الكلام مع الغبي و لكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق وهو الذي نسميه مقتضى الحال"[1]

يصبّ هذا النص القيم للسّكاكي في صميم اللسانيات التداولية و يكشف عن أوضاع لسانية مرتبطة بالصياغة اللغوية، وأخرى غير لسانية منها ما يرتبط بالمتكلّم و مقاصده ومنها ما يرتبط بالسامع وأحواله والفائدة التي سيجنيها من الخطاب.[2]

و في الأخير يمكننا القول بأن السكاكي يعد من بين علماء العربية الذين عالجوا دور السياق بنوعيه الداخلي و الخارجي في توضيح المعنى و تحقيق التواصل التام، من خلال العلاقة التي يقيمها بين المتخاطبين في توضيح قصد المتلفظ بالخطاب من جهة، ويضمن وصوله للمخاطب و جنيه للفائدة منه من جهة أخرى، وكذا دوره في توجيه الخطاب حيث لا يتضح قصد العبارة إلا من خلاله؛ فالسياق الذي يعالجه السّكاكي هنا هو سياق نصّي تداولي، ومنهجه في دراسته للمعنى منهج علمي مضبوط يقوم على تجاوز النظر في الدلالات النحوية المجردة ذات المعاني المباشرة على دراسة المعاني المتولدة بعضها من بعض من خلال قرائن لفظية وحالية تتضح أثناء الاستعمال، وهو ما جعل فكر السكاكي في مفتاح العلوم يقترب إلى حد ما من الفكر اللساني التداولي في عصرنا الحاضر .

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 256

[2] ينظر، جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000 ص ص34-35

ب- عند الفارابـي:

كان أبو نصر الفرابي في القرن العاشر للميلاد (ت339هـ/951 م) ، وهو بصدد تقسيم أنواع "المخاطبات " قد صنّف العبارات الكلامية الصادرة عن الانسان إلى صنفين كبيرين هما: " عبارات القول " و" عبارات الفعل" وقد ابتدأ مما ابتدأ منه الفيلسوف أوستين من اعتبار " المخاطبات " نوعين :

- أقوالا .
- وأفعالا تتم بالأقوال.[1]

الأولى تتم بمجرد تحريك الشفتين للتواصل مع الآخر والتعبير عما في النفس ، والثانية يراد بها، إضافة إلى ذلك، حملُ المخاطَب على فعل شيء ما؛ يصرح الفرابي قائلا: ‹‹...والقول الذي يُقتضى به شيء ما فهو يقتضى به إما قول ما، وإما فعل شيء ما و الذي يقتضى به فعل شيء ما فمنه نداء، ومن تضرُّع وطِلبَة، وإذن، ومَنْع، ومنه حثّ، وكفّ، وأمر، ونهي›› ولا يفوته أن يبيّن أن ‹‹ النطق بالقول هو فعل ما ››

فمن خلال ما سبق طرحه ، يتبين لنا بأن الفارابي جعل الاستفهام ضمن ما سماه " ما يُقتضى به قول ما " ، وأما باقي أنواع الطلب من نداء وتضرع وإذن ومنع وكف وأمر ونهي وحث فسماها، " ما يقتضى به فعل شيء ما".

ومن الطريف أن الفارابي يلتفت، منذ ذلك العصر المبكر، إلى مفهوم " الملفوظ الإنجازية" الذي يتحدث عنه أوستين و سيرل في عصرنا والذي كثيرا ما يُقدِّم على أنه اكتشاف حديث في كل من الفلسفة التحليلية والأبحاث التداولية المعاصرة، ويعبر الفارابي عنه بلفظ: " القوة force" الذي هو من المقولات التداولية المعاصرة ويقرر في وضوح أن ‹‹ قوة أحد أنواع القول { ويقصد النداء تحديدِا }، قوة السؤال عن الشيء ››، أي أن " القوة الإنجازية " المحتوات في "فعل النداء " هي نفسها المحتوات في " فَعل الاستفهام" وهذا النوع من الكلام يقتضي جوابَا عند الفارابي، مثلما رأى أوستين أن من الأفعال الكلامية نوعا ثالثا سماه: ‹‹الفعل الناتج عن القول›› أو" الفعل التأثيري " وقد ربط الفارابي ذلك بأن لكل قوة

[1] أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تح، محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط 2، 1990 م، ص162.

كلامية جوابا معينًا [1] وهذا ما أكده في كتابه الحروف بقوله: ‹‹ ف كل مخاطبة يُقتضَى بها شيءٌ ما فلها جواب، فجواب النداء إقبال أو إعراض، وجواب التضرع والطِلبة بذل أو منع، وجواب الأمر والنهي وما شاكله طاعة أو معصية، وجواب السؤال عن الشيء إيجاب أو سلب...»[2]

وما نلاحظه عند الفارابي، ذلك الشبه الكبير في مسألة التمييز بين الخبر والإنشاء بينه وبين التداوليين المعاصرين، حين انطلقوا من الاعتبارات التداولية ، كقصد المتكلم ومراده من المخاطب، والقوة الإنجازية التي تحملها العبارة اللغوية...إلخ

ومن اللافت للنظر أن الفارابي لم يتردد في اعتبار "التمني والتعجب" من الخبر كما في قوله :‹‹ وقوم من الناس يمارون في التعجب والتمني ، فبعضهم يجعله نوعا آخرا من الأقاويل، سوى الجازم، وبعضهم يجعله من الجازم، ويجعل ما قرن به، وما يخبر به في تأليفه، أو في شكله جهة من الجهات...››، وهذا يذكرنا بعمل سيرل في رد بعض " البوحيات " إلى " التقريرات ".[3]

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الطرح الذي قدمه" الفرابي " يحمل بعدا تداوليا، لاسيما ذلك الارتباط التداولي بين الأسلوب ممثلا في الاستفهام وبين معناه الإبلاغي ووظيفته التواصلية. وانطلاقا مما سبق ذكره نتوصل إلى أن للجمل الاستفهامية قوى انجازية تتمثل في أدوات الاستفهام ،وترتبط هذه القوى الانجازية بنمط الخطاب بمعنى وجود انتقاء نمطي لهذه القوةكما تنقلب القوى الانجازية من اخبار إلى استفهام وفقدان اللغة للأدوات المؤشرة للقوة الإنجازية كأدوات الاستفهام ، يحيلها إلى تقوية التنغيم وتنويعه لاقتداره على أن يكفل وحده الدلالة على حمولة العبارة الانجازية و بغياب الأدوات التي تمثل قوى انجازية تصبح اللغة قاصرة عن التعبير عن سمات المستوى العلائقي من خلال اللغة التي هي موجهة توجيها تداوليا.

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب،ص87

[2] المرجع نفسه، ص88

[3] المرجع نفسه، ص91

لم تكن رحلتنا العلمية عبر هذه الصفحات إلا محاولة الرجوع إلى منابع التراث العربي القديم لأجل مذاكرة رواده، وتذكير فكرنا المعاصر بضرورة مراجعة ذلك التراث الغزير بلآلئه الخبيئة وجواهره الكثيرة، وهذا ما سنجده بارزا في فكر هاذين العلمين اللذان وظفا تراثنا الإسلامي لمجرات الدراسات الحديثة من بينها التداولية .

4- 2 التداولية عند العرب المحدثين :

أ- عند محمد محمد يونس علي :

لقد أثمر التلاقح بين الدرس الأصولي والدرس اللساني نشأة علم جديد يمكن تسميته بعلم التخاطب[1] pragmatics الذي يترجمه بعض الدارسين العرب بالذرائعية حينا، وبالتداولية، أو النفعية حينا آخر، وهي تراجم غير موفقة، لأن هذا المصطلح (وهو إغريقي الأصل) يفسره الغربيون بأنه علم الاستعمال، الذي يتفق تماما مع مباحث الاستعمال المقابلة لما يعرف بالوضع عند علماء أصول الفقه، والبلاغيين العرب القدماء، وعلى الرغم من أن الاستعمال في التراث العربي والإسلامي لم يصبح علما لغويا مستقلا كما حدث للوضع، فإن تسمية pragmatics بعلم الاستعمال قد تكون أفضل من غيرها مما ذكر، وإن كنت أفضل ترجمته بعلم التخاطب وهي ترجمة تراعي "ما صدق " اللفظ لا " مفهومه " بالمعنى المنطقي للمصطلحين، حيث يقصد بمباحث الاستعمال ما يدخل في إطار المباحث التخاطبية تماما. وبغض النظر عن ترجمة اسم هذا العلم إلى العربية فإن ما ينبغي ذكره هنا يتلخص في أن المهتمين بعلم التخاطب يرون أن دراسة القَولات اللغوية بمعزل عن السياقات التي تستخدم فيها أمر غير سليم على الإطلاق، فالسياق وعناصر خارجية أخرى كالمخاطِب، والمخاطَب، وما قيل سابقا ومعارفنا وخبراتنا السابقة، والعناصر المكونة للمقام التخاطبي، وقدرة المتخاطبين على الاستنتاج لا يمكن إغفالها في التوصل إلى الفهم السليم لكلام المتكلم، وبلوغ تخاطب ناجح [2]

ومنه فعلم التخاطب يُعنى في بحثه في دراسة بنية الخطاب لغويا في ضوء قواعد التخاطب العامة والخاصة، و وصف علاقة النظام اللغوي بالاستعمال وتحليله وكيفيات

[1] محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، ص 07

[2] المرجع نفسه ، ص 12

التحقق، و العمليات الذهنية و مستويات الانتاج والفهم اللغويين، وفهم مقاصد الخطاب، وأدوار المتلقي في التفسير والتأويل، والاستدلالات اللغوية والافتراضات المسبقة، ودراسة تحول القول إلى فعل كلامي إنجازي في ضوء نظرية أفعال الكلام لـ: أو ستين وسيرل. فيمكننا أن نستنتج أن علم التخاطب عملية تواصلية تفاعلية بين طرفي خطاب تتحكم فيها اللغة وضعا واستعمالا .[1]

وعليه فالغاية من علم التخاطب في نظر محمد محمد يونس علي هي معرفة كيفية حصول تفاهم بين المتخاطبين، وتشمل مسائله كل العناصر التي تسهم في إحداث التخاطب من وضع، واستعمال، وقرائن، وأنواع الدلالة المختلفة، والنظريات الدلالية ذات الصلة بالاستعمال والسياق أما أصول هذا العلم فقد يجد الناظر منها بغيته في كتب الأصول، وفي كتب اللسانيات الحديثة، ولا سيما في «البراغماتية»، أو في ما أسميناه بعلم التخاطب، أما مبادئه في القضايا اللغوية المختلفة التي تبحث في فقه اللغة، والصرف، والنحو، والبلاغة، واللسانيات، وتحليل الخطاب، والنص، وعلم الأصول، وعلم التفسير، والمنطق، والفلسفة، أما بالنسبة إلى جوهر فلسفته فتقوم على التشديد على سمة "القصدية " و" المرادية " في الخطاب، وهو ما يؤول القول بأن التفاهم، أو التخاطب الناجح لا يحدث إلا إذا أدرك المخاطَب مراد المخاطِب. [2]

وأخيرا نستنتج أن نشأة علم التخاطب كان وليد المزج بين أصول الفقه الإسلامي والتداولية، وهو يدرس كل ماله صلة بالمخاطَب والمخاطِب في إنجاح العملية التواصلية، وهي نظرة جديدة أضفاها محمد محمد يونس علي في كتبه بدعوته إلى تقويم التراث الإسلامي في الدرس اللساني الحديث.

[1] ينظر، محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الاسلامي، ص ص 9-14

[2] ينظر، المرجع نفسه ، ص ص08- 09

ب- التداولية عند طه عبد الرحمان:

يُعد طه عبد الرحمن من أبرز الباحثين في المجال التداولي، إن لم نقل من القلائل في العالم العربي الذين حاولوا التعريف بالفكر التداولي وتأصيله في الثقافة العربية الإسلامية، سواء على مستوى التنظير أو التطبيقات،[1] فهو أول من اقترح مصطلح" التداولية " وفي هذا الصدد يقول:" وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح (التَّداوليات) مقابلا للمصطلح الغربي‹‹ براغماتيقا››، لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيي ‹‹الاستعمال ›› و ‹‹ التفاعل ›› معاً. ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم[2] وبذلك يكون مصطلح التداولية أو التداوليات من المصطلحات التي نالت رواجا واستئناساً بل صار مهيمنا في استعمالات الدارسين والمشتغلين بها [3]

ومن هذا المنطلق يُعرّف "طه عبد الرحمن " التداولية في قوله : " التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية ، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم ، كما أن المجال ، في سياق هذه الممارسة ، هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا وزمانيا لحصول التواصل والتفاعل. فالمقصود بـ‹‹ مجال التداول››، في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث .ومنه فالتداول من خلال هذا المعنى جاء بمعنى التواصل والتفاعل، وبهذا قسم أسباب التواصل والتفاعل إلى ثلاثة أسباب: وهي أسباب لغوية وأسباب عقدية وأسباب معرفية.[4]

كما انتهج " طه عبد الرحمن " منهجا مخالفا، إذْ حَكّم التداولية في الدرس الفلسفي وهذا ما يشير إليه بقوله: (وقد استفدنا بدورنا من الجانب التداولي في الدرس الفلسفي والكلامي، وساهمنا في وضع قواعد تداولية لهذا الخطاب الفكري، وخرجنا فيه بنتائج بلغت

[1] آمنة بلْعلى، المنطق التداولي عند طه عبد الرحمان و تطبيقاته، مجلة اللغة والأدب، العدد 17 ، ص278

[2] ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 2000م، ص 28

[3] الجيلالي دلاّش، مدخل الى اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 1

[4] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، مرجع سابق، ص244

من التخصيص والتدقيق درجة لا يمكن أن يؤدي إليها المنهج التاريخي الذي غلب على الدرس التراثي الإسلامي العربي). [1]

اهتم " طه عبد الرحمن " بالقضايا التداولية من وجهة نظر منطقية و فلسفية مستمدا وسائله النظرية والمنهجية من علمين حققا نتائج باهرة : اللسانيات والمنطق وهذا ما أكسب هذه النظرية رؤية منهجية ناقدة تنم عن وعي كبير بأهمية المنهج العلمي. [2]

وكان «طه عبد الرحمان » يروم الاستقلال عن المعايير الأجنبية في الوصف، وإنتاج المعرفة، يقول :«اجتهدنا قدر المستطاع في الأخذ بالأسباب اللغة العربية في التعبير، والتبليغ، ووظفناها في التنظير لموضوع هذا البحث»[3]

كما تجلى عمله في وضع المصطلحات، حيث تدل طريقته في نقد النظريات وصياغة أخرى على إستراتيجية علمية قائمة على التأصيل، تتجاوز الآلية المعتمدة في ترجمة الأفكار والنظريات، واستثمار جهود علماء الإسلام في البحث التداولي، وقد انعكس ذلك على إستراتيجيته في وضع المقابل ووضع المصطلحات [4]

وأخيرا يمكننا أن نستنتج أن طه عبد الرحمان هو أحد المفكرين العرب والمسلمين الأوائل الذين حاولوا التعريف بالفكر التداولي وتطبيقه في بعض مناحي الحياة الثقافية الإسلامية، وأن نظرته للتداولية من خلال مؤلفاته، قد نحا منحا غير مسبوق، فنظرته للتداولية تمتاز بالنظرية الشمولية والتكاملية للتراث، فقد أضفى للتداولية طابع جديد بصبغة تراثية إسلامية أصيلة، بعيدة عن كل الدراسات الأجنبية، وهذا راجع لثقافته الإسلامية وتجربته الصوفية.

[1] طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، ط1،2011م ،ص78

[2] ينظر، آمنة بلعلى، المرجع السابق،ص287.

[3] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص28.

[4] آمنة بلعلى، المرجع السابق ، ص287

الفصل الثاني : مشروع التجديد التداولي عند طه عبد الرحمان

1- شخصه وحياته .

2- الجذور الفلسفية التي صنعت شخصية طه عبد الرحمان المفكر التداولي.

3- مصادر فلسفته.

4- مظاهر التجديد التداولي عند طه عبد الرحمان.

5- حدود آليات الاشتغال التداولي.

6- مصادر التفكير التداولي عند طه عبد الرحمان.

7- الأفعال الكلامية عند طه عبد الرحمان.

8- محاور التواصل التخاطبي عند طه عبد الرحمان.

تزخر الساحة الفكرية العربية بعلماء وباحثين في شتى المجالات،نجد من بينهم الباحث المغربي طه عبد الرحمان الذي لفت أنظار الكثيرين من متابعي الحركة الثقافية والفلسفية في الوطن العربي خصوصا، بسعيه إلى إرساء قاعدة فلسفية إسلامية أصيلة مرتبطة بالمنهج التداولي الإسلامي، وذلك من خلال تجديد المفاهيم بعد أن طغت عليها المناهج الغربية المتداولة، فأصبح الاختلال في المجال التداولي العربي الذي سار إلى الإتباع لا التجديد والإبداع، حيث بدأ مشروعه الفلسفي من خلال تأسيس لقاعدة جديدة تنم عن المناهج الإسلامية الأصيلة وتدعو إلى إعمال العقل وتجديده وفق المقتضيات التداولية الاسلامية فباحث بهذا الحجم الكبير يستدعي منا التعريف به و بمنهجيته في الأواسط العلمية العربية و الإسلامية؛ لأن مشروعه يتسع وينفتح ليحقق مبدأ التعارف الإسلامي الذي نادى به في مشروعه الفكري والفلسفي، لذلك سنحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على فكره التداولي مستقيين بذلك جذوره ومنابعه الفلسفية، فما هي خصوصية تداولية طه عبد الرحمان؟و في ما تجلت مظاهر التجديد التداولي عنده؟ وما هي أصوله الفلسفية التي استقى منها فكره التداولي؟ وكيف يشتغل لبلورة فلسفة تبدد أصول النزعة المركزية الغربية وكل نزعة كونية؟ ولكن قبل هذا كان لابد من الضروري التعرف على هذه الشخصية .

1- شخصه وحياته :

ولد طه عبد الرحمان عام1944م في مدينة الجديدة بالمغرب، وتلقى تعليمه الأول ،على يد والده مما ورثه تكوينا تقليديا بالأساس اطلع فيه على مداخل العلوم الشرعية إلى حين ولوجه المدرسة العصرية، حيث تدرج في أقسامها الابتدائية والاعدادية فالثانوية، فقد نشأ طه في عائلة ملتزمة دينيا، ثم درس بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط حيث نال إجازة في الفلسفة، واستكمل دراسته بجامعة السربون، حيث حصل منها إجازة ثانية في الفلسفة ودكتوراه السلك الثالث عام1972م، برسالة في موضوع ‹‹اللغة والفلسفة – رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود››، ثم دكتوراه عام 1985 عن أطروحته ‹‹رسالة في الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه››، وكان مساره المهني هو الآخر زاخرا بالعطاء حيث درَّس "المنطق وفلسفة اللغة " في جامعة محمد الخامس بالرباط منذ 1970 م، إلى حين تقاعده سنة 2005،وهو عضو في ‹‹الجمعية العالمية للدراسات الحجاجية ›› وممثلها في المغرب وعضو في ‹‹المركز الأوروبي للحجاج››، وهو رئيس ‹‹منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين بالمغرب، وقد حصل على جائزة المغرب للكتاب مرتين، ثم على إجازة الإسيسكو في الفكر الإسلامي والفلسفة عام 2006م [1]

لقد اتضحت فرادة هذا الرجل من خلال جملة من المؤلفات نذكر منها [2]:

- النحو والمنطق الصوري 1998م
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي 2006م
- فقه الفلسفة 2008م
- روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية 2009م
- الحق الاسلامي في الاختلاف الفكري 2009 م
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام 2010 م

[1] ابراهيم مشروح ، طه عبد الرحمان: قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط2009،1م، ص 27–29 .

[2] المرجع نفسه، ص 28.

- سؤال المنطق 2010 م
- حوارات من أجل المستقبل 2011 م
- روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية 2012م
- سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية 2013 م.

2- الجذور الفلسفية التي صنعت شخصية طه عبد الرحمان التداولي:

يقول طه عبد الرحمان: "على أن مفهوم التقويم لا ينحصر في معنى ‹إزالة الاعوجاج› مجردا، بل أنه يتضمن معنى ‹التقدير›؛ أي تحصيل قيم مخصوصة يُتوسل بها في إزالة هذا الاعوجاج فيكون مدلول تقويم الشيء هو الاشتغال بتعديله بحسب تقدير مخصوص، كما أن خطة ‹التقويم› و هي واحدة من الخطط التي رسمناها لبناء فلسفة عربية مبدعة؛ تقضي بأن نزيل اعوجاج الممارسة الفلسفية عن طريق وصلها بالمجال التداولي العربي؛ وقد تجلى هذا الاعوجاج الفلسفي بصفة جوهرية في آفة عامة دخلت على الفلسفة العربية ، قديما وحديثا، وهي آفة الاحتذاء حذو المنقول الفلسفي، ونسميها« بآفة التقليد»".[1]

إن مشروع" طه عبد الرحمان" الفلسفي يكاد يكون حربا على المقلدة من المتفلسفة العرب فقد وضع منهجية تطبيقية تضاهي الفكر الغربي الحديث وتعيد النظر في مقولاته وأطروحاته وتفتح آفاقا جديدة للنظر في أوضاع العالم الاسلامي، وقد لاحظ أن ما ينجز من أبحاث فلسفية في البلاد العربية في الوقت الراهن لا يخرج كله عن الاستشكالات والاستدلالات والمسلمات النظرية التي يتضمنها الفضاء الفلسفي العالمي المزعوم.[2]

وأقام توجيهه الفكري في حربه على التقليد على دعامتين: الهدم والبناء وقسم المقلدة إلى نوعين : مقلدة المتقدمين الذين يسقطون المفاهيم التقليدية على المفاهيم الغربية الحديثة، كأن يسقطوا مفهوم الشورى على مفهوم الديمقراطية ...ومقلدة المتأخرين الذين يسقطون المفاهيم الغربية المنقولة على المفاهيم الاسلامية المأصولة، كأن يسقطوا مفهوم العلمانية على مفهوم العلم بالدنيا "[3]

وقد رد طه عبد الرحمان هذه الاسقاطات المختلفة أنهم كانوا يريدون أن تكون لهم صبغة عقلية استدلالية، لكنهم يتغيرون على خلاف ما يضنون في القيام بشروطها وهكذا

[1] طه عبد الرحمان، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 2، 2002م، ص 137.
[2] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث ص 129.
[3] يوسف بن عدي، مشروع الابداع الفلسفي، الشبكة العربية للنشر والأبحاث، بيروت، ط 1 ،2012 م ، ص 38.

يصيرون على التدرج إلى رد المفاهيم المأصولة إلى المفاهيم المنقولة، فيتهمون بمحو خصوصية المفاهيم المأصولة.[1]

والظاهر أن كلا النوعين من المقلدة لا ابداع عنده، إذ مقلدة المتقدمين يتبعون ما أبدعه السلف من غير تحصيل الأسباب التي جعلتهم يبدعون ما أبدعوه، ومقلدة المتأخرين يتبعون ما أبدعه الغرب من غير تحصيل الأسباب التي جعلتهم يبدعون ما أبدعوه. [2]

وظل همه المنهجي الأول في مشروعه تحصيل الأسباب التي جعلت المتقدمين والمتأخرين يبدعون، وظلت غايته من حربه على التقليد أن يخرج المثقف العربي من اغترابه واستيلابه ويجعله معتزا بمجاله التداولي الاسلامي مستلهما حداثته من القيم الاسلامية، ومن ثم يستطيع هذا المثقف العربي أن يضع الفكر الغربي في حجمه الطبيعي ويتفاعل معه في ضوء منهجه.[3]

إن المتتبعون لـ طه عبد الرحمان، وأعماله الفلسفية يلاحظ جملته ضد المقلدة من المتفلسفة العرب، ويجيب طه عبد الرحمان بالأسباب الآتية[4]:

- لأنهم استلذوا التفلسف على طريقة غيرهم، ولم يستطيعوا أن يحلوا عن أعناقهم عدى التقليد فهم يخوضون في ما يخوض فيه غيرهم ويفتعلون أسئلة غيرهم

وفي هذا الصدد وضح طه عبد الرحمان أكثر قائلا: فالفلسفة أصلا؛ اجتهاد في النظر، وإبداع في النقد، وعلى هذا فكل فلسفة منقولة ما لم يحصل صاحبها أسباب إنتاجها، أو يحصل الأدلة عليها، تظل عملا لا يفيد في إنتاج الفلسفة، والأولى إنشاء فضاء فلسفي عربي، فالفلسفة العربية إلى يومنا هذا لا تزال ترتب ضمن الفلسفة المقلدة، بل ليست في ‘

[1] طه عبد الرحمان، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006، ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص 15.

[4] طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1 ، 2013، ص 154.

ثقافتنا فلسفة بل إنها نقيض الفلسفة، لأن التقليد يناقض الفلسفة وقد اتخذته هي قانون لها ، وبهذا فمن يدعى بالفلسفة العربية يقضي على الفلسفة ولا يدعها البتة.[1]

- لم يستطيعوا مسائلة مناهج التفلسف عند أهل الغرب ونقده على مقتضيات ثقافتهم بسبب عجزهم عن التحقق من المفاهيم المنقولة عن أن يأتوا بما يضاهيها فكريا ومنهجيا

وقد بين طه عبد الرحمان هذا بقوله: لم يستطع العربي أن يبدع المفاهيم من عنده ويبدع العلاقات بينها، ويبدع صيغ الاستنتاج من هذه العلاقات التي أقامها بين هذه المفاهيم...فنحن أحوج اليوم إلى فلاسفة مجتهدين يقومون بوضع مفاهيم جديدة أو متى اقتبسوها بصورة مباشرة من واقعهم، يقومون بفلسفتها وإنشاء الفضاء الفكري الضروري لها [2]

- تسببوا بتقليدهم للفكر الغربي في توجيه الأمة نحو التقليد والاستسلام للأفكار الغربية؛ مما أدى إلى خنوع الأمة للحضارة الغربية .

أكد طه عبد الرحمان أن الفلاسفة العرب، المقلدون المولعون بالثقافة الغربية وجهوا الأمة نحو التقليد لا التجديد من خلال أفكارهم وآرائهم الفلسفية التابعة للفكر الغربي، وبين من جهته أيضا أننا بحاجة ماسة إلى مفكرين مسلمين لهم التمكن من المناهج الغربية، بحيث يتولون نقد التطبيقات المقلدة والدفاع عن كيانهم الحضاري والمعنوي، وليس مفكرين أبهرتهم الحضارة الغربية فتبنوا آرائها الفلسفية دون نقد وتمحيص لأفكارها، وهم بذلك يوجهون الأمة إلى التقليد الأعمى.[3]وفي خضم الانتقادات التي وجهها، طه عبد الرحمان إلى الفلاسفة العرب المقلدين انتقد بشدة المشتغلين بالتراث وأكد بأنه غلب عليهم التوسل بأدوات البحث التي اصطنعوها من مفاهيم الغربيين ومناهجهم ونظرياتهم فقلدوها وما ملكوا ناصية تقنياتها ولا تفننوا في استعمالها [4]

[1] طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، ص 154.

[2] المرجع نفسه، ص 155.

[3] مشروح ابراهيم، طه عبد الرحمان قراءة في مشروعه الفكري، مرجع سابق، ص42.

[4] ينظر يوسف بن عدي، ينظر مشروع الابداع الفلسفي العربي ص 42.

و أوضح طه عبد الرحمان بأن هناك قصور متمثل في عدم التمكن من المفاهيم المنقولة والآليات المستنسخة عن التراث الغربي، وقد أدى هذا إلى نتائج فاسدة عن التراث، لأنهم صاروا إلى تطبيق أدوات غير مناسبة لموضوعها، وبين أيضا بأنه يتعين عليهم أن يطلبوا وسائل تناسب هذا التراث، وحتى إذا اقتبسوا هذه الوسائل والمناهج من غيره، فينبغي أن يعرضها على محك النقد والتمحيص، حتى يتبين له وجه مناسبتها للتراث قبل أن يقوم بتنزيلها.[1]

إن طه عبد الرحمان فيلسوف يتنفس حريته في الكتابة ولا يجد له راحة في غير هذه الحرية وكانت الكتبة عنده بمثابة الحرية والحرية كتابة، حيث يقول: « نحن العرب نريد أن نكون أحراراً في فلسفتنا» و اختار التحرر طريقا في الحياة ووجده في الكتابة ولو كان ذلك على حساب صحته وراحته، واختار التحرر منهجا في الحياة طلبا وحفظا لكرامته، وقضا لأن يكون بوقا لجوقة ما وصوتا يردد ما يملى عليه. لقد اختار" طه عبد الرحمان" أن يكون فيلسوفا والفيلسوف لا يكون إلا حرا طليقا ولو وضعوا في عنقه الأغلال وعلى فمه الأقفال، واختار أن تغمر نفسه سعادة حرمت منها نفوس اختارت الذلة فعاشت في الأغلال وبين الأقفال، وحبه للتحرر جعله يسترخص كثيرا من التضحيات، ويعاني أنواعا من الحصارات [2]

[1] ينظر المرجع السابق، ص 43.

[2] طه عبد الرحمان: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، مرجع سابق ص 22.

3- مصادر فلسفته:

تتميز فلسفة "طه عبد الرحمان " عن غيرها من الفلسفات من حيث أنها أخذت منهجا مغاير عما كان متعارف عليه في الفلسفات العربية من حداثة ومعاصرة، واعتمدت على الإبداع في أسسها، وتجديد لواقع الفلسفة العربية التي طغت عليها المناهج الغربية، وبين طه عبد الرحمان أن هناك إتباع وليس إبداع في الفلسفة العربية وعلى هذا وضع مشروعه التجديدي من أجل إرساء قاعدة فلسفية عربية إسلامية نابعة من التراث الإسلامي الفلسفي العريق، وتؤكد على الاستقلال الفلسفي العربي، وقد اعتمد بناء فلسفته على المصادر التأسيسية التالية:

2-1 اللغة والمنطق:

من بين القضايا التي وقع عليها طه عبد الرحمان وميزته داخل دائرة المبدعين في ثقافتنا أنه أول ما بدأ به مشروعه هو تفكيك المفاهيم وإنتاج مفاهيم أخرى تنطلق من المجال التداولي وخصوصياته سواء أكانت عقدية أم معرفية أم قيمية، فلا يمكن أن يكون أي إبداع في الفكر أو الفلسفة إلا استجابة لهذه المقتضيات التي تشكل فيها اللغة منطلقها الأساسي؛ فالمجال التداولي يشمل اللغة المستعملة والثوابت العقلية وجانبا من الممارسة المعرفية، إذ يكون العمل الذي تختص به هذه العناصر حاصلا بالتراكم ومتغلغلاً في تاريخ المجتمع.[1]

وعلى ضوء هذه الفكرة قرأ التراث الفكري العربي والغربي وكشف عن دور اللغة في إبراز إمكانات التفكير والإبداع سواء داخل ثقافتنا أم خارجها.

ويرجع اهتمام طه عبد الرحمان باللغة إلى ما حصل من تطورات في الفكر والفلسفة الغربيين طول القرن العشرين، ويتحدد هذا الاهتمام في الانتقال من التفكير بواسطة اللغة إلى التفكير في اللغة بحد ذاتها، واعتبار حل المعضلات الفكرية والفلسفية موقوفا على التحليل اللغوي.[2]

[1] طه عبد الرحمان، سؤال العمل، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ط1، 2012، ص 39.

[2] ابراهيم مشروح، طه عبد الرحمان قراءة في مشروعه الفكري، ص 60.

والمتعقب لفكر طه عبد الرحمان يجد أن منعطفة اللغوي يتخذ صورة فريدة، إذ رغم انتمائه لهذا السياق الكوني الذي شهدته الفلسفة الأنجلو أمريكية والقارية على حد سواء؛ فإنه انعطف عن هذا المنعطف بما طبع فكره بهذا الانفراد في التعامل مع اللغة، ويلتقي" طه عبد الرحمان" بالمنعطف اللغوي الغربي في كونه انطلق من مبدأين أساسيين جعلانه حقيقا بالانتساب إلى هذا المنعطف اللغوي المنطقي الذي ساد الفكر والفلسفة المعاصرين وهي مقاربة التعقل من وجهة فلسفية عربية وهذين المبدأين هما:[1]

أ ـ ضرورة اعتبار جانب اللغة في تشكيل المعنى الفلسفي

فجانب اللغة يكمن في الإمكانات التي تمنحها اللغة في صوغ العبارة الفلسفية وتبليغها بما يسمح بتوصيل الشحنة الدلالية الفلسفية المبتوتة في سياق تداولي أصيل.

ب ـ ضرورة الأخذ بأدوات المنطق في البحث الفلسفي، إذ لا شك في أن "طه عبد الرحمان" قد أفاد الكثير من الدرس المنطقي المعاصر الذي انفتح على فلسفة اللغة وقضاياها، وعلى فلسفة المنطق قبلت النظر في قضايا المنطق وفي الدعاوي المنطقية فصارت جسورا مفتوحة بين الاشتغال المنطقي والبحث النظري الفلسفي

وبهذا تكون دعوة "طه عبد الرحمان " الأخذ بأدوات المنطق التي تحرص على الجانب الآداتي والمنهجي، فقد وجد أن المنطق قد عرف تطورا كبيرا في العالم منذ مطلع القرن العشرين، ولاحظ أن هذا التطور كان هائلا وفي اتساع مجاله وتشعب مباحثه وتزايد الدقة في مناهجه.[2]

وهكذا سعى في مشروعه الفكري إلى إبداع كتابة منطقية لم يسبق إليها في مجالات التأليف المنطقي في عالمنا العربي، ونرى اقتداره هذا في ابداع الحجج بأشكال مختلفة وداخل صور لا حصر لها في آليات إنتاج الأطاريح التي يرض لها.

وقد لاحظ " طه عبد الرحمان"؛ أن الكتابة الفلسفية العربية الحديثة قد طغى عليها الاهتمام بالوقائع التاريخية والأحداث السياسية والظواهر الاجتماعية فكان من غاية ربط

[1] المرجع السابق، ص 63.
[2] ينظر،آمنة بلعلى، المنطق التداولي عند طه عبد الرحمان، مرجع سابق ص 279.

الصلة بالآلة المنطقية و إخراج الكتابة الفلسفية العربية من المنزلق التاريخي الساذج الذي انحدرت إليه حتى تستعيد خصوصياتها، نهوضا بالتقليد الفلسفي العربي الأصيل الذي أسسه فلاسفة الإسلام.[1]ولأن المعتمد المنهجي للفلسفة هو المنطق، لاحظ أن الآفة الخطابية التي وقع فيها المقلدة من الفلاسفة العرب، أنهم فصلوا بين الفلسفة والمنطق، نتيجة تصور خاطئ للمنطق، وكأن الفلسفة تصح بغير منطق يضبطها، وغير منهج يوجهها في الاستشكالات والاستدلالات.[2]

فهو بهذا يحدد شرائط الاجتهاد في مجال المعرفة إذ لا اجتهاد مع التقليد والنقل والشرح، ولا اجتهاد مع ضعف قوة الاستنباط ووضع القواعد وبناء القوانين، وبهذا استجمع طه عبد الرحمان شرائط الاجتهاد فأقام تأليفه الاجتهادي على ثلاث أركان: ركن الاستشكالات*وما تثيره من أسئلة حقيقة وركن الاستدلالات** المنطقية وركن الصياغات ذات القوة البيانية.[3]

ولقد استطاع طه عبد الرحمان أن يبرز انفراده في التعامل والتفاعل مع المنطق اللغوي، فقد اشتغل بمنطقيات الخطاب الطبيعي واعتنى على الخصوص بالتداوليات ولم يكن اشتغاله بها داخلا في تخصيص ضيق بل في خطة فلسفية رسمها منذ الإرهاصات الأولى لديه لبناء فلسفة تداولية عربية [4]

لقد اهتم طه عبد الرحمان بالدراسات اللغوية والمنطقية لبناء فلسفة سليمة، ترتكز على الإبداع في آلياتها المنهجية، وكان اهتمامه أكثر بالمنطق لمعرفة أسباب قوى العقل والبناء العقلي للمعرفة، حيث عمل على بيان أن العقل الذي هزم المسلمين عقل محدود، وبين أن

---

[1] المرجع السابق، ص41.

[2] المرجع نفسه، ص 42.

*وهي تبنى على تحديد مضمون الفلسفة؛ إذ تعرف الفلسفة بكونها جملة من الاشكالات والأسئلة التي يتولى الفيلسوف إثارتها ويجتهد في الجواب عنها؛ أو بكونها جملة من الحقائق والنتائج التي يتولى الفيلسوف طلبها ويجتهد في استنباطها. طه عبد الرحمان، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي. ص 51.

** تتبني على تحديد منهج الفلسفة؛ إذ تعرف الفلسفة، بكونها طريقة في البحث، تختص بممارسة الاستدلال المنطقي واستعمال النظر النقدي، طه عبد الرحمان، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي. ص 51.

[3] يوسف بن عدي، مشروع الابداع الفلسفي العربي، ص180.

[4] ابراهيم مشروح: طه عبد الرحمان، قراءة في مشروعه الفكري، ص 64.

الأمة الإسلامية مؤهلة لعقل أوسع من هذا العقل الذي هزمنا، وبهذا فإن طه عبد الرحمان قد اهتم بالمنطق لمعرفة أعطاب الفكر العربي، ومداوته منهجيا؛ من الأسقام التي جعلت منه فكراً ضعيف منهجيّاً؛ ولا يحتكم إلى الآليات المنهجية والمنطقية*** التي رفعت في المقابل الفكر الغربي.

إن اهتمام طه عبد الرحمان، باللغة تكون من كونه يؤمن بأن اللغة مؤسسة اجتماعية وأنها تشحن داخليا خزانا ثقافيا وقيما يشكل مجالها التداولي الذي تتفاعل بواسطته مع العالم الخارجي.

لقد اعتبر طه عبد الرحمان أن المهمة الأساسية للمفكر العربي مهمة لغوية، لذلك حشد ما أمكنه من عدة منطقية ولغوية تزود فيها بأحدث ما وجد في الدرس المنطقي المعاصر، وما أستحدث من نظريات جديدة في اللسانيات، فكانت المسألة اللغوية منطلق تفكيره، ومبتدأ مشروعه، ولما كانت اللغة هي المظهر الوحيد للفكر، فقد انطلق من إصلاحها بما أوتيَّ من عُدة استمدها من النظريات اللسانية العامة والنماذج المنطقية والفلسفية اللغوية [1]

وعلى هذا يكون طه عبد الرحمان، قد أولى اهتماما بالغا بالمنطق واللغة وجعلهما من بين أهم القواعد التي تبنى عليها الفلسفة الصحيحة.

*** يقول طه عبد الرحمان وتشمل المنهجية المنطقية في التراث كل المقولات والأدوات التي تدخل في بناء الاستدلالات . طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 86.

[1] ابراهيم مشروح، طه عبد الرحمان قراءة في مشروعه الفكري، ص ص 12 – 13.

2-2 فقه الفلسفة:

لقد اتضح للفيلسوف طه عبد الرحمان بعد طول النظر في الفلسفة العربية الاسلامية، أنها غارقة في التبعية والتقليد والنقل عن الآخرين دون مراعاة الخصوصيات التداولية لمجال النقل ولا لمجال المنقول، مما يجعل فعل التفلسف فعلا مخلا بمبدأ الابداع، باعتباره خاصية في خصائص الفلسفة، يقول في هذا:(وعلى هذا فالمتفلسف العربي "مثقف" مقلد لا جديد عنده، ومتعلم تابع لا متبوع، حيث إنه يقلد غيره في ما أخذ به أو تركه من دون أن يسائل نفسه، لا عن مقتضيات أخذه بما أخذه به هذا الغير ، ولا عن مقتضيات تركه لما ترك).[1] وعليه، وجب وضع علم ينظر في فعل التفلسف، وينظر في فعل الترجمة، باعتبارها عملية ابداعية أيضا

من هنا كان المصدر التأسيسي الثاني الذي كان ركيزة أساسية في فلسفة طه عبد الرحمان، فقه الفلسفة الذي طلب فيه تحرير القول الفلسفي من التبعية إلى التجديد، وذلك من أجل تحقيق الإبداع الفلسفي المنشود بإنتاج فلسفة عربية أصيلة.[2]

فمن جهة النظر في الفلسفة، يقول طه عبد الرحمان: " وليس إلى ذلك الإبداع في الفلسفة إلا بإنشاء علم يختص بالنظر في الفلسفة كما ينظر الصانع في الآلة، وهو ما أسميناه " بفقه الفلسفة "؛ فهو العلم الذي يزودنا بدقيق آليات الممارسة الفلسفية والاحاطة بجليل تقنيات الانتاج والابداع فيها، ومتى حصلنا هذا العلم، أمكننا إذ ذاك الارتقاء من رتبة استعمال الفلسفة إلى رتبة صنع الفلسفة" [3] فالإبداع الفلسفي هو الهاجس الذي يحكم فعل التفلسف عند طه عبد الرحمان.

ومن جهة النظر في الترجمة يقول: " ولما كانت الفلسفة التي بين أيدينا فلسفة منقولة، أي هي حصيلة أعمال الترجمة وكان الاشكال الذي يعترض المشتغل بها هو كيف يبدع مع دوام إمداد الترجمة لها، فقد لزم أن أول ما ينبغي أن ينظر فيه "فقه الفلسفة" هو الصلة

[1] طه عبد الرحمان ، حوارات من أجل المستقبل، ص 35.

[2] طه عبد الرحمان، فقه الفلسفة1 الفلسفة والترجمة المركز الثقافي العربي، المغرب ط 1، 1995، ص 21.

[3] المرجع نفسه، ص 53.

الموجودة بين الفلسفة والترجمة، مستخرجا وجودهما واشكالاتها ومبيناً كيفيات إقامة هذه الصلة على الوجه الذي ينفع الابداع الفلسفي.[1]

ويرى عبد الرحمان إن فقه الفلسفة يدل المتفلسف عن طريق الكشف عن الأسباب التي تنطوي وراء التصورات والأحكام الفلسفية حتى يتبين كيفيات تأثيرها في وضع هذه التصورات وبناء هذه الاحكام فيقتدر على استثمار ما يقابلها من الاسباب في مجاله التداولي منشئا بذلك تصورات وأحكام تنافس المنقول استشكالا واستدلالا، وبهذا ترجع منفعة فقه الفلسفة إلى إخراج المتفلسفة عامة والمتفلسف العربي خاصة من الجمود على ظاهرة المنقول الفلسفي إلى الاجتهاد في وضع ما يقابله.[2]

ويؤكد طه عبد الرحمان أنه يجب على المتفلسف العربي الأخذ بأسباب ما يوافق المنقول وما يخالفه، ومتى علم المتفلسف العربي بهذه الأسباب أصبح بإمكانه التوسل بها في ابداع المعرفة الفلسفية والتجديد في أبوابها فيحيي روح التفلسف الصحيح في مجاله التداولي، فقه الفلسفة يفيد في العلم بالأسباب الموصولة إلى إنتاج الفلسفة.[3]

وعلى هذا فإن طه عبد الرحمان يدعو إلى مراجعة الفلسفة واعتبرت دعواه انقلابا فلسفيا يتجه وجه تحقيق الانقطاع عن الفلسفة المنقولة المبتورة والنهوض بأسباب الابداع الفلسفي الذي يستوعب المنقول الفلسفي فالدعوة إلى مراجعة الفلسفة اقتضتها الحاجة إلى إبداع فلسفي عوض التبعية العقيمة للمنقول والجمود على المضامين الفلسفية دونما تخصيبها داخل المجال التداولي المخصوص [4]

إن موضوع فقه الفلسفة يتحدد في علم يعمل على الكشف عن الآليات الدقيقة التي هي عمدة الممارسة الفلسفية، أو هي أدوات التفلسف التي يتوسل بها المتفلسف، وهكذا لم يقنع " طه عبد الرحمان" بغير المقاربة العلمية بديلا لتلك المقاربة التي تتخذ الفلسفة لا كظاهرة

[1] المرجع السابق، ص نفسها .

[2] المرجع نفسه ، ص24 .

[3] المرجع نفسه، ص: 20.

[4] ابراهيم مشروح، طه عبد الرحمان قراءة في مشروع فكره، ص: 177.

معرفية، ولغوية وسياسية واجتماعية،...إلخ، بل باختصار كظاهرة أو" واقعة متعددة الوجوه، تعدد مدلول "الفلسفة"، ومتسعة الأبعاد توسع مجال التفلسف"[1]

ومنه نلاحظ أن الفائدة المتوخاة من فقه الفلسفة، هي النهوض عن التقليد والدخول من باب الاجتهاد إلى رحاب الابداع الفلسفي،

✓ **منهجه في فقه الفلسفة :**

إن طه عبد الرحمان ، لم يحصر هذا المنهج دفعة واحدة بل بشر بكونه سيكون ثمرة مشروعه الفلسفي. حيث يقول:" لا يناسب الظاهرة الفلسفية من المناهج إلا ما لم يكن تعدد مكوناته ضار بوحدته؛ ولا توسع إمكاناته مخلفا لبنائه؛ وسوف نجتهد على قدر الطاقة، في وضع هذا المنهج لا ابتداء ولا دفعة واحدة يتوسط المكونة للظاهرة الفلسفية، إن ترجمة أو عبارة أو مضمونا أو سيرة.[2] حيث بين أن منهج فقه الفلسفة يتصف بصفتي التكامل والتداخل ولا يتناسب منهج هذا العلم سوى الأخذ بأبواب متناسقة ومتداعية، تتوسل بأدوات علم المنطق وعلم اللسان وعلم البلاغة وتنظر في مضامين الفلسفة مستعينة بالأخذ بأطراف العلوم التي يأخذ بها المتفلسفة من علم التاريخ وتاريخ العلم ، وتاريخ الافكار وعلم الاجتماع وعلم السياسة. [3]

وبهذا دعا طه عبد الرحمان إلى تحرير القول الفلسفي بوضع "فقه للفلسفة "كعلم يرصد كيفية التفلسف وبالتالي كيفية التفكير خارج التقليد داعيا إلى إبداع فلسفة عربية قادرة على مضاهاة فلسفة الاقوام الاخرين وليس يحصل ذلك إلا إذا تحررت الأمة العربية من عقدة النقص وواجهت الأساطير التي ترميها بالعجز عن الابداع لكي تأتي بضروب غير مسبوقة من النظر والفكر وبالتالي من التفلسف[4]

كما أشاد طه عبد الرحمان بفقه الفلسفة على المعرفة: " اعلم أيضا أن لفظ الفقه يفضل أيضا لفظ المعرفة، من حيث إن الفقه؛ أخص من المعرفة بإضافة قيد الكلام فيه، أما ترى

---

[1] المرجع السابق ، ص: 178.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] طه عبد الرحمان، فقه الفلسفة1، الفلسفة والترجمة، المغرب، ص 20.

[4] المرجع السابق، ص 211.

أنك تقول :" فقهت كلامه"، ولا تقول: "فقهت ذهابه ومجيئه" في حين يجوز أن تقول :" عرفت كلامه".[1]

نلاحظ أن المراد من هذا هو العلم بطرق الفلسفة في الإفادة وبطرق استثمارها في إحياء القدرة على التفلسف.

وأشاد بامتياز الفقه على الفهم:" اعلم كذلك أن لفظ الفقه يفضل كذلك لفظ " الفهم" من جهة أنهما وإن تعلقا معا بالكلام فإن الفهم يغلب عليه التمسك باللفظ الملقى به، بينما الفقه يقلب عليه التمسك بالمقصود من هذا اللفظ، وقد قيل:" الفهم وهو التعلق غالبا بلفظ مخاطبك والفقه، وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه.[2]

وعلى هذا يمكن أن نختصر مشروع طه عبد الرحمان التجديدي في وضعه لمشروع فلسفة إسلامية انطلاقا من ثوابتها و منهجيتها فلسفة تستقل برؤيتها ومجالها التداولي، وتضاهي في بنائها المعرفي والمنهجي الفلسفة الغربية الحديثة فلكل فلسفة قوميتها وسياقها التاريخي اللغوي والفكري، وبها وضع، الخطوط العريضة لمشروعه التداولي الاسلامي الذي يتميز عن غيره من المجالات التداولية الغربية، ويظهر جليا في الآليات والأسس التي اقترحها طه عبد الرحمان ويتجلى تركيزه وحرصه على المجال التداولي العربي الاسلامي والقواعد التي تضبطه.

[1] المرجع السابق ،ص 27.

[2] نفسه الصفحة نفسها .

4- مظاهر التجديد التداولي عند طه عبد الرحمان :

تعمل النزعة التداولية عند طه عبد الرحمان جاهدة على بلورة مشروع فلسفي يروم محليا القضاء على آفة التقليد والإتباع نحو يقظة فلسفية، ويروم كونيا نقد النزعة المركزية الغربية من خلال الكشف عن إمكانات الإبداع التي يتوفر عليها مجالنا التداولي، فالمشروع التداولي الذي وضعه طه عبد الرحمان يتوجه إلى تحرير المثقف من اغتراب مزدوج: اغترابه عن مجاله التداولي، واغترابه عن تمثل خصوصية الفكر الغربي، وإدراك خصوصية مجالنا التداولي يمر عبر تخليص عقولنا من قوالب الفكر الغربي حتى نكون قادرين على الرؤية الموضوعية، ورَدِّ الفكر الغربي إلى ثوابته التداولية، يقول طه عبد الرحمان:" وليكن مثالنا عن المفاهيم الفلسفية المنقولة عن الفضاء الفلسفي العالمي، والتي تتطلب تقويم اعوجاجها هو مفهوم الحداثة...فلا أحد يمكن أن يتجاهل الظروف الاجتماعية والسياسية التي نشأ وتطور فيها هذا المفهوم في الأقطار الأوربية...حتى زعم المثقفون العرب أنه ينبغي أن يتحقق في هذا السياق العربي بنفس الأسباب التاريخية التي تحقق بها في أصله الأوربي، لتسليهم بمبدأ منقول هو الآخر، وهو مبدأ التاريخ الإنساني الكلي"[1]

تعد مساهمة طه عبد الرحمان مغامرة فكرية لمعالجة قضية التراث، باعتباره بعداً أساسيا من أبعاد الوجود الإنساني، فالتراث، في نظره" جملة من المضامين والوسائل الخطابية والسلوكية التي تحدد الوجود الإنتاجي للمسلم العربي في أخذه بمجموعة مخصوصة من القيم القومية الإنسانية، حية كانت أم ميتة "[2]

فهو أداة لتحرير الإنسان، وعائق، في الوقت نفسه، يعطل تقدم المجتمع إلا أن طه عبد الرحمان استخدمه بالمعنى الأول، وتناوله ركنا أساسيا لبعث الإنسان العربي، فقد جاءت محاولة طه عبد الرحمان إلى جانب محاولات عديدة لمفكرين عرب معاصرين كالعروي والجابري وأركون وآخرون، فهذه النماذج وغيرها، وإن اختلفت في طريقة القراءة والتأويل فإنها في نظر طه عبد الرحمان اعتمدت على مقاربات تجزيئية للتراث أسقطت فيها مفاهيم منقولة من المجال التداولي الغربي دون مراعاة لمقتضيات المجال التداولي العربي الإسلامي التي

[1] طه عبد الرحمان، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2001، ص 75

[2] طه عبد الرحمان، حوارات من أجل المستقبل، منشورات الزمن، 2000، ص 16.

تشمل العقيدة واللغة والمعرفة .[1]إن تداولية طه عبد الرحمان تنطلق من قراءة التراث وتفكيكه وإعادة بنائه عبر الوقوف على أهم القراءات السائدة في الثقافة العربية المعاصرة، وذلك من أجل زرع روح الإبداع فيها من جهة، وتشييد تقليد فلسفي جديد مختلف عن القوالب الغربية من جهة أخرى [2]

5- حدود آليات الاشتغال التداولي :

يرى طه عبد الرحمان أن التراث يمثل نصاً مفصولاً عن الهوية، لا مجرد مدوّنة معرفية معروضة للتأويل والقراءة؛ إذ يعد في آن معاً مضامين و آليات، ونصا وممارسة، وتاريخاً وواقعاً. وما يرفضه طه عبد الرحمان إنما هو اختزال التراث في مضامينه النصية، فيما يشكل خلفيةً للمقاربة التجزيئية السائدة في تناول التراث

ثم يقدم بديلاً يتمثل في القراءة التكاملية للتراث بوصفه كلّا متكاملا لا يقبل التفرقة بين أجزائه، ووحدة مستقلة لا تقبل التبعية لغيرها؛ فالخصيصتان الرئيسيتان للتراث، هما: النظر إليه بوصفه كلّاً متكاملا متصل الحلقات، مرتبط العناصر والمحتويات، لا يمكن الفصل بين مضامينه آلياته، ولا بين مكوناته والنظر إليه بوصفه منظومة متميزة من غيرها، لها عناصر بنائها الذاتية التي تستقل بها، وتفصلها عما سواها.[3]إن النظرية التكاملية في التراث التي يدعو إليها طه عبد الرحمان هي الرؤية التي تتجه إلى البحث في التراث، آليات ومحتويات من أجل معرفته من حيث هو كذلك، على اعتبار أنه كل متكامل لا يقبل التفرقة بين أجزائه، وأنه وحدة مستقلة لا يقبل التبعية لغيره.[4]

[1] يطه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 248.

[2] يوسف بن عدي: مشروع الابداع الفلسفي العربي، ص 13.

[3] طه عبد الرحمان تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 81.

[4] طه عبد الرحمان، حوارات من أجل المستقبل ص 29.

ويتجلى الجانب الثوري والتجديدي في هذه المقاربة في نظره، في ثلاث محددات هي[1] :

- **المحدد التداولي:**

ومقتضاه أن كل مظهر من مظاهر الانتاجية في التراث عقيدة، أو لغة، أو معرفة، حامل لخاصية العمل، مع اتصاف هذا العمل بأوصاف ليست في غيره، إذ هو عمل من أجل منفعة الغير، فضلا عن منفعة الذات، وعمل من أجل منفعة الآجل، فضلاً عن منفعة العاجل.

- **المحدد التداخلي:**

ومقتضاه أن المعارف التراثية تشترك اشتراكاً في وسائل إنشاء مضامينها ونقدها، كما تشترك في وسائل العمل بها، حتى إن أحكامنا على مضامينها لا يمكن أن تصحَّ إلا بإقامتها على النتائج التي نتوصل إليها بصدد وسائل هذه المعارف التبليغية والعملية.

ويتجلى في نظره من خلال اشتراك وسائل إنشاء المعارف التراثية بمضامينها نقدا ونظرا وعملا وربط مقدماتها بنتائجها

- **المحدد التقريبي:**

ومقتضاه أن المنقول عن الغير يخضع لتحويلات تصحيحية مختلفة، إن في مضمونه أو في صورته، لكي يصير متلائماً مع المقتضيات التداولية للتراث كما، يخضع للتحولات التي أوجبها تقدم المعرفة العلمية الذي حصل في المجال التداولي الاسلامي العربي بالنسبة إلى المجال المنقول منه، يونانياً، كان أو فارسياً، أو هندياً.

والمتمثل في تحوير المنقول من الغير مادة وشكلا، بما يلائم السياق التداولي للتراث حيث يجعله قابلا للخضوع للتحولات العلمية التي تحصل فيه .

أي أن التفكير يندرج في التراث عند طه عبد الرحمان ضمن النظرة التكاملية التي تعتبر التراث وحدة مستقلة لا تقبل التجزئة بين مكوناته، حيث يجمع فيه بين البعد المنطقي

[1] المرجع السابق، ص 30.

والبعد التاريخي.[1] وذلك من أجل مقاربة موضوعية وصفية محايدة، لا تنتصر للتراث ولا للعلم وإنما تأخذ منهما بالقدر الذي يجعل الواحد منهما فاعلا في الآخر ينفعه وينتفع به.[2]

فالحقيقة التكاملية للتراث هي التداخل الذي حصل بين المعارف والعلوم على درجات مختلفة، والالتزام بتفاعلها على وجوه متباينة، والعمل بأساليب التكوين والتأليف بطريقة موسوعية إذ يبرز تقارب العلوم علاقات التقارب والتشابه والتدرج في تحصيل المعارف حسب طبيعة كل مجال، وتفاعل العلوم يبرز مدى التعالق والتشابك بين المجالات المعرفية وارتباط بعضها ببعض إلى درجة امتزاج مصطلحات العلم الواحد بمصطلحات غيره من العلوم [3]

ويميز طه عبد الرحمان في النظرة التكاملية بين وجهين مشكلين لها:

الأول: التداخل الداخلي: ويعني حصول الاندماج بين علمين أصلين كحصوله بين علم الأصول وعلم الحديث، أو بين علم الكلام وعلم اللغة، أو بين التصوف والفقه...الخ من دون اعتبار الاتجاه الذي يتخذه هذا الاندماج[4]

وللتوضيح أكثر يقدم طه عبد الرحمان نموذجا متمثلا أساسا في علم أصول الفقه؛ من خلال الشاطبي شاهداً أمثل في نظره على هذا التداخل بين علم الاصول وعلم الأخلاق لأن الحكم الشرعي في نظر طه عبد الرحمان يجمع بين وجه فقهي ووجه أخلاقي متشاكلين في البنية ومتكاملين في الوظيفة ومتفاضلين تفاضل المقصد والوسيلة .[5]

الثاني: التداخل الخارجي: يعني حصول الاندماج بين علم أصلي وعلم آخر غير أصلي، مع ضرورة ضبط اتجاه هذا الاندماج، فيكون التداخل الخارجي على نوعين يختلفان باختلاف هذا الاتجاه.

[1] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 63.

[2] المرجع نفسه ، ص 30.

[3] المرجع نفسه ، ص 90.

[4] المرجع نفسه ، ص 125.

[5] المرجع نفسه ، ص 123.

التداخل الخارجي القريب: ومفاده تحقق مبدأ الاندماج من العلم المنقول إلى العلم الاسلامي حسب مقتضيات المجال التداولي الأصلي.

والتداخل الخارجي البعيد: ومفاده تحقق مبدأ الاندماج من العلم الاسلامي الأصلي إلى العلم المنقول مع إمكانية الابتعاد عن المجال التداولي الاسلامي الأصلي والتوجه إلى المجال التداولي المنقول منه [1]

وللتوضيح يرى طه عبد الرحمان أن ابن رشد شاهدا أمثل على هذا النوع من التداخل الخارجي البعيد من خلال إدخال علم الكلام في الفلسفة الإلهية في خطابه. ويؤكد طه عبد الرحمان أن السبب في تداخل علم الكلام مع الإلهيات راجع إلى كون الواحد من هذين العلمين ينزل من إحدى الثقافتين المنقولة والأصلية بمنزلة الآخر في الثقافة الثانية فكل واحد منهما علم نظري يتبوأ في ترتيب العلوم النظرية. في إحدى الثقافتين المرتبة التي يتبوؤُها في الثقافة الثانية فمكانة الالهيات من العلوم النظرية المنقولة كمكانة الكلاميات من العلوم النظرية الأصلية [2]

من هنا نلاحظ أن مقاربة طه عبد الرحمان للتراث منعطفا جديدا في الدرس التراثي، لما تحمله من مستجدات وخيارات على مستوى مسلماته ونتائجه، إذ قدم الجانب المنطقي والأدوات المنهجية على المضامين التاريخية لأنه يعتقد ألا سبيل إلى معرفة تاريخها بغير معرفة المنطق الذي ينبغي أن يستند إليه هذا التاريخ

لذلك جاءت قراءته للتراث مزدوجة ومتمثلة في استنطاق المأصول من التراث مركزا على الآليات المنطقية واللغوية دون إغفال النظر المضموني، وفي تقريب المنقول الغربي من خلال تصحيحه وإخضاعه لما يلائم مقتضيات المجال التداولي العربي الاسلامي منهجا ومضمونا، تؤطره رؤية تداولية تضع بوضوح ومنهجية مقومات هذا التراث ومصادره الضرورية وأدواته المتحكمة في نسج عناصره وقضياه ومضامينه إذ أنتج رؤية دراسة تكاملية للتراث باعتباره وحدة منسجمة مقوضا كل المقاربات سواء أكانت تراثية أم حداثية.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص ص 125 – 129.

[2] المرجع نفسه ، ص 142.

[3] يوسف بن عدي، مشروع الإبداع الفلسفي العربي مرجع سابق، ص 40.

وحاصل القول إن صاحب الرؤية التداولية للتراث قدم نموذجا في العمارة المعرفية لا يضاهيه فيها إلا مكابر أو جاحد، لما يتميز به من قدرة خارقة على الترتيب والتنسيق واشتقاق المفاهيم وتوليدها بلغة قوية ذات نفحة تراثية وبآلة منطقية رهيبة في بناء الاستدلالات واستخلاص النتائج، وبعدة معرفية قوية تجمع بين النصوص التراثية وما استجد في الفكر الغربي مادة ومنهجا.

6- مصادر التفكير التداولي عن طه عبد الرحمان :

تتأسس منهجية طه عبد الرحمان على منحيين؛ المنحى التقويمي، والمنحى التأسيسي، إذ من غير المعقول السعي في تهديم الآراء والأفكار. بالمعنى الفلسفي الأصيل . من دون طرح رؤية بديلة عما تم استئصاله وتقويمه، لذا شرع طه عبد الرحمان في بناء النظرية التكاملية للعلوم التراثية الأصيلة وفق منطق الفلسفة التداولية أو المنهج التداولي الاسلامي وقواعده،[1] حيث ميز طه عبد الرحمان المجال الاسلامي عن غيره من المجالات التداولية، وقام بنقد الوسائل التي اتخذت لتقويم التراث، واهتم بمسالك تقويم التراث المنهجية التي تستمد أوصافها الجوهرية من المبادئ التي قامت عليها الممارسة التراثية الاسلامية العربية، وأكد أن المجال التداولي الاسلامي لا يقوم إلا عليها حيث يحمل كل ما يرد عليه من ألوان الثقافة ومظاهر الحضارة على التبدل بحسب مقتضياته التواصلية والتفاعلية، انطلاقا من ثلاثة أسباب: لغوية وعقدية ومعرفية؛ وهو ما سنتعرف عليه في هذا العنصر حيث مثلت مصادر التفكير التداولي وأسباب التواصل والتفاعل عند طه عبد الرحمان[2]:

أ- اللغوية: من المعلوم أن أهم الأدوات التي يستعملها الإنسان لتبليغ مراده ومقاصده وللتواصل مع غيره هي الأداة اللغوية؛ فاللغة من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب وللتأثير فيه بحسب هذه المقاصد، وبقدر ما تكون هذه الأسباب مألوفة للمخاطب وموصولة بزاده من الممارسة اللغوية فهماً وعملاً، يكون التبليغ أفيد والتأثير أشد في نظر طه عبد الرحمان.

[1] المرجع السابق ، ص 63.

[2] طه عبد الرحمان تجديد المنهج في تقويم التراث، مرجع سابق، ص 245.

لأن اللغة هي أداة التواصل بين أفراد المجتمع والتي يستخدمها الأفراد للتبليغ عن مقاصدهم وغاياتهم والتأثير في المخاطب وعندما تكون اللغة مفهومة ومتداولة وموصولة بالممارسة اللغوية لديه يكون التأثير أشد والتبليغ أفيد في المخاطب؛ وقد أعطى طه عبد الرحمان أمثلة عن الفلاسفة اللذين استعملوا اللغة المتداولة في المجتمع لإيضاح أفكارهم الفلسفية المقصودة ويستدل طه عبد الرحمان في بيان علاقة اللغة بالمجال التداولي بنص الفارابي*يقول: في مطلع كتابه القياس الصغير على طريقة المتكلمين:" ونتحرى أن تكون العبارة عنها في أكثر ذلك بألفاظ مشهورة عند أهل اللسان العربي، ونستعمل في ايضاح تلك القوانين أمثلة مشهورة عند أهل زماننا فإن أرسطو طاليس لما أثبت تلك الأشياء في كتبه جعل العبارة عنها بالألفاظ المعتادة عند أهل لسانه، فاستعمل امثلة كانت مشهورة متداولة عند أهل زمانه، فلما كانت عادة أهل هذا اللسان في العبارة غير عادة أهل تلك البلدان، وأمثلة أهل هذا الزمان المشهورة غير الأمثلة المشهورة عند أولئك، صارت الأشياء التي قصد ارسطو إلى بيانها بتلك الأمثلة غير بيِّنة، ولا مفهومة عند أهل زماننا، حتى ضن أناس كثير من أهل هذا الزمان بكتبه في المنطق أنها لا جدوى لها وكادت تطرح، ولما قصدنا نحن إلى إيضاح تلك القوانين استعملنا في بيانها الأمثلة المتداولة بين النظَّار من أهل زماننا.[1]

وعليه تظهر جليا مكانة اللغة وقيمتها في نجاح العملية التخاطبية بين أفراد المجتمع، فهي من أولى وأهم الأدوات لأنها وسيلته للتواصل والتعبير عن أفكاره، والمسلم به أنه من دون اللغة يكون التواصل عقيما وصعب الادراك على العكس، بها يكون التواصل فعالا ايجابيا ...وعليه فالإخلال بمقتضيات المجال التداولي على مستوى التعبير اللغوي من شأنه الإضرار بعملية التواصل والتخاطب والتأثير والتأثر وحتى يكون التخاطب مؤثرا وفاعليا يجب مراعاة الخصوصيات التداولية لمجال التخاطب عند نقل المقاصد وتبليغها

* الفارابي: [257هـ 339هـ]، من أكبر الفلاسفة المسلمين وكان أفهم الفلاسفة ، قام في الفلسفة العربية بالدور الذي قام به أفلوطين في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ولقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو، من أهم مؤلفاته: الجمع بين رأي الحكيمين، أفلاطون وأرسطو، شرح كتاب البرهان لأرسطو...جميل صليبا تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 3، 1995، ص 137.

[1] طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 245.

ب ـ العقيدية: يقول طه عبد الرحمان: "أما العقيدة فهي المحرك الأساس للأمة التي لها حق الاختصاص بالختامية، فلا تقل العقيدة نهوضا بمقتضيات التواصل والتفاعل عن اللغة وتعد العقيدة كما أكد عليها طه عبد الرحمان من الأسس التي قامت عليها الممارسة التراثية فلولا الصبغة العقيدية الدينية لهذه الأسس لما تمتعت هذه الممارسة بما نعلمه عنها من السعة والثراء.[1] يرى طه عبد الرحمان أن الممارسات التراثية التي ساهمت في خلق تواصل بناء بين العرب المسلمين وغيرهم، هي تلك التي كانت تراعي الخصائص التداولية لمجال المسلمين خاصة في باب العقيدة.

يقول طه عبد الرحمان: " من البيِّن أن الأسباب العقيدية لا تقل نهوضا بمقتضيات التواصل والتفاعل عن الأسباب اللغوية، إذا لم تتجاوزها في ذلك درجات متى أخذنا بعين الاعتبار الأسس الأولى التي قامت عليها الممارسة التراثية ؛ فلولا الصبغة الدينية لهذه الأسس لما تمتعت هذه الممارسة بما نعلمه من السعة والثراء ولما حملتنا على أن نلتمس فيها اليوم ما ينهض هممنا لاستئناف سابق عطائها. ولولا الصبغة العقدية لما سعى إلى الحث على النهوض واستئناف العمل الذي بدأه السلف. فلا تواصل ولا تفاعل إلا بالمعرفة المتوسلة باللغة والمبنية على العقيدة، التي على أساسها تتوسع المدارك العقلية وتنفتح بها آفاق العالم بالنسبة للمتفاعلين[2].

وعليه نستنتج أن التجربة التراثية تتيح امكانية الابداع والتواصل والتفاعل مع الذات ومع الغير دون الاخلال بخصوصيات المجال التداولي العربي الاسلامي بسبب الصبغة الدينية التي اتسمت بها التجربة التراثية حصل التأثير والتأثر والحوار مع الذات ومع الغير مما أتاح لهذه التجربة ما أتاحه من السعة والثراء في العلوم والمجلات

ج- المعرفية: إن العلاقة بين المقتضيات اللغوية والمقتضيات العقيدية في علاقتهما بالمجالات المعرفية والثقافية الأخرى، والتي يعمل العقل على اقتناصها وبيانها وتوضيحها هو ما يسميه طه عبد الرحمان بالأسباب المعرفية يقول طه عبد الرحمان في هذا الشأن:" لا يخفى كذلك أن ما يتناقله المتخاطبون بواسطة لغتهم وما يتعاملون به بموجب عقيدتهم هو

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه ، ص ص 245- 246.

جملة مضامين دلالية وطرق استدلالية تتوسع بها المدارك العقلية في أنفسهم كما تنفتح بها آفاق العالم من حولهم فلا تواصل ولا تفاعل في التراث إلا بالمعرفة المتوسلة باللغة والمبنية على العقيدة ويجوز أن نسمي الأسباب المعرفية باسم الأسباب العقلية فباستثناء الكتاب والسنة يمكن اعتبار كل الأعمال التراثية عند المسلمين منبثقة عن الأصلين بفعل إدراكي عقلي.[1] يقوم المجال التداولي إذن على تطبيق المعارف والمقاصد تطبيقا شاملا على جميع أفراد المجال، وعلى تحقيقها وتقويمها، فلا معرفة بدون مقصد ولا مقصد بدون معرفة

من خلال هذا التقديم يتبين لنا أن الأسباب اللغوية والأسباب العقدية، والأسباب العقلية تتداخل وتتفاعل في ما بينها بشكل يصعب معه تحديد الواحدة منهما بالأخرى لتشكل بذلك وحدة بنيوية هي التي تسمى بالمجال التداولي أو التداولية.

وتبرز حركية التقسيم الثلاثي لمصادر المجال التداولي وتداخل عناصره على مستوى الاستعمال* والاستكمال**، فلا تتعين الوظيفة التداولية لأي عنصر حتى يقع استعماله وتكامل وظيفته مع العناصر الأخرى .يقول طه عبد الرحمان : " فاستعمال اللغة إذن أن تكون نافعة...واستكمال اللغة، إذن أن تكون مبلغة، واستكمال العقيدة أن تكون مقومة، واستكمال المعرفة أن تكون محققة" .وعلى هذا فكل ما ينتسب إلى مجال التداول لا بد أن يجتمع فيه الوصفان الاستعمال والاستكمال؛ فاللغة تجمع بين البيان والتبليغ، والعقيدة تجمع بين الرسوخ والتقويم والمعرفة تجمع بين النفع والتحقق. [2]

وتشتغل هذه العناصر وفق قواعد تداولية تنظم الأدوار وتحدد العلاقات التفاعلية بين مختلف العناصر لكي يتميز كل مجال تداولي بالأوصاف التداولية التالية: وهي التفاضل

---

[1] يوسف بن عدي: مشروع الإبداع الفلسفي العربي، ص 63.

* الاستعمال، ذلك أن كل قسم قسم، لا تتعين وظيفته التداولية حتى يقع استعماله؛ ولا استعمال بغير النقلة الموجبة للتواصل وبغير الحركة الموجبة للتفاعل، فاللغة ما لم تنقل إلى الغير ما يحمله على الحركة، فلا عمل تحتها؛ والعقيدة ما لم يمتد أثرها إلى الغير وتنهض همته إلى الاشتغال، فلا عمل تحتها هي الأخرى، والمعرفة ما لم تنفعل بها الذات وتفعل بها في الغير، فلا عمل تحتها كذلك؛ فاستعمال اللغة إذن أن تكون مبينة، واستعمال العقيدة أن تكون راسخة، واستعمال المعرفة أن تكون نافعة،طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 148.

** الاستكمال، ذلك أن كل قسم قسم لا تكمل وظيفته التداولية، حتى يتعلق بالقسمين الآخرين، فلا استكمال بغير اجتماع التبليغ اللغوي والتحقيق المعرفي ، والتقويم العقيدي، طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 148.

[2] المرجع نفسه، ص نفسها.

والتواصل والتفاعل.[1]وكل صنف من هذه الأوصاف يختص بوظيفة من الوظائف الثلاثة : وظيفة الإنهاض؛ فإن كان تعطلاً عن الإنهاض العقيدي؛ فهو «التثاقل »؛ وإن كان تعطلا عن الإنهاض اللغوي فهو «التقصير»؛ و إن كان تعطلا عن الإنهاض المعرفي فهو «التكاسل»، ووظيفة الإنتاج؛ فإن كان تعطلاً في الإنتاج العقيدي فهو «القعود»؛ و إن كان تعطلاً في الانتاج اللغوي «الاحتباس»؛ وإن كان تعطلا في الانتاج المعرفي فهو« التعطل»، ووظيفة التوجيه فإن كان تعطلا في التوجيه العقيدي فهو «السهو»؛ وإن كان تعطلا في التوجيه اللغوي فهو« اللغو»؛ وإن كان تعطلا في التوجيه المعرفي فهو «اللهو»وأي إخلال بهذه القواعد يعطل الوظائف وينتج السقوط في الجحود العقدي، والخمود اللغوي والجمود المعرفي[2]

وعليه ينتج السقوط في التقليد والابتعاد عن كل أسباب الإبداع، و الانقطاع عن كل أسباب التقريب بين الثقافات و الحضارات، والملاحظ أن اللغة تعمل، داخل كل مجال تداولي، على الجمع بين البيان والتبليغ، وأن العقيدة تجمع بين الرسوخ والتقويم والمعرفة تجمع بين النفع والتحقيق.

نشأت الدراسات التداولية كرد فعل على عقم الوصفية وجمودها، «وتمثل نظرية أفعال الكلام الولادة الثانية للتداولية فتكاد تستلهم وجودها من المنطق إذ تستنبط أساسا من فلسفة اللغة ونظرية أفعال الكلام خصوصا» وهذا ما عرضه جون أوستين وتلميذه سيرل اللذان وضعا قواعد وأسس هذه النظرية، إلا هذا لا يعني أن لهذه النظرية جذورا عربية تمتد إلى القرن الثاني للهجري؛ فَوُلِدت نظرية أفعال الكلام قديما في الحضارة الإسلامية العربية من رحم أصول الفقه والنحو واللغة ثم البلاغة، ثم انحصرت المحاولات العربية الحديثة في الجهود التطبيقية التي جاءت أكثرها على القرآن الكريم، فجاء طه عبد الرحمان ووسعها إلى لغة الخطاب اليومي، وبهذا نجده تطرق إليها بِحلة عربية وجذور عربية إسلامية أصيلة.

[1] المرجع السابق، ص 257.

[2] المرجع نفسه، ص 258.

7- نظرية الأفعال الكلامية عند طه عبد الرحمان:

تتجلى ملامح التداولية عند طه عبد الرحمان من خلال اهتمامه بالكلام والعملية التخاطبية إذ يقول: (ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية، أوقل« فائدتها التواصلية »)[1]

فطه عبد الرحمان يرى أن التواصل يتم بين طرفين أي شخصين فأكثر إذ يتم خلال هذا التواصل تبادل أقوال محددة من أجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو التبليغ.

وفي كتابه " اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*" تحدث عن أفعال الكلام في مبحث سماه " العلاقة التخاطبية وتكوثر** الكلام " فيرى أن الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية، بناء على أنه لا كلام بغير خطاب، فكلما وقفنا على لفظ «الكلام»، تبادرت إلى أذهاننا دلالته على معنى «التواصل» حتى إن ما سواه من وسائل التواصل المعلومة، إن حركات ملحوظة أو إشارات مبثوثة أو رموز منظومة، تبدو لنا موضوعة على قانونه ومفهومة على مقتضاه، أو قل إن الكلام أصل في كل تواصل، كائنا ما كان.[2]

فمفاد كلامه أنه لا تواصل بدون كلام وحتى الرموز والإشارات والإيماءات هي ضرب من الكلام لأنها ببساطة تؤدي رسالة إلى المتلقي؛ أي أنه ضمَّن حتى الإشارات الغير لغوية في نقل المعنى وفي إنجاح العملية التواصلية. فحقيقة الكلام لا تقوم في مجرد النطق بألفاظ

---

[1] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص237

* يقول طه عبد الرحمان:" إن التكوثر فعل عقلي فلا يتكوثر إلا العقل والمقصود بذلك أن العقل لا يقيم على حال، وإنما يتجدد على الدوام ويتقلب بغير انقطاع ... فالعقل أسمى الفاعليات الإنسانية و أقواها، وحق الفاعلية الأسمى الأقوى أن تتغير على مقتضى الزيادة ، وأن تبقى على هذه الزيادة ما بقي العاقل." طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 21.

** يعرف طه عبد الرحمان التكوثر بقوله:" لئن كان لفظ التكوثر أقل دوران على الألسن من نظائره المشتقة من نفس المادة اللغوية [ك ث ر] ، والدالة على معان متقاربة وهي: التكاثر، و التكثر والإكثار، والاستكثار والكثرة،، فإننا نؤثر استعماله عليها لكون التكوثر أخص، وهذه النظائر أعم؛ فمثلا كل تكوثر تكاثر، لكن ليس مع كل تكاثر تكوثر". طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 21.

[2] المرجع نفسه، ص213

مرتبة على مقتضى مدلولات محددة، لأن هذا النطق قد يقع عرضا كما في حال النوم والترتيب قد يأتي صدفة كما في حال اللعب والدلالة قد تنتزع عنوة كما في حال فلتة اللسان، وإنما حقيقته الكامنة في كونه ينبني على قصدين اثنين: [1]

أحدهما يتعلق بـ «التوجه إلى الغير»

الثاني يتصل بـ « إفهام هذا الغير»

أما **المقصد الأول** فمقتضاه: أن المنطوق به لا يكون كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره؛ وما لم تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يُعّد متكلما حقا، حتى ولو صادف ما نطق به حضورَ من يتلقفه، لأن المتلقف لا يكون مستمعا حقا حتى يكون قد أُلقِي إليه بما تلقف، مقصودا بمضمونه هو أو مقصودا به غيره بوصفه واسطة فيه أو قل حتى يُدرِك رتبة «المتلقي»، "**فالمتلقي هو عبارة عن المتلقف الذي قَصَدَه المُتلقِي بفعل إلقائه**".[2] فالشرط الأول عند طه عبد الرحمان أن الكلام لا يكون إلا بوجود شخصين؛ أي حتى يكون الكلام كلاما حقا وجود متلق يتلقى هذا الكلام أو ما أسماه "الغير"، ولا بد أن يكون هذا المستمع حقا أيضا، حتى يدرك إن كان هذا الكلام موجها له أو لغيره بوصفه واسطة فيه.

أما المقصد الثاني: فلا يكون المنطوق به كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير، وما لم تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يعد متكلما حقا حتى لو صادف ما لفظ به فهما ممن التقطه، لأن المتلقط لا يكون مستمعا حقا حتى يكون قد أفهم ما فَهِم، سواء أوافق الإفهام الفهم أم خالفه، أو قل حتى يدرك رتبة «الفاهم»، " **فالفاهم هو عبارة عن المتلقط الذي قَصَده المُفهِم بفعل إفهامه.**[3] وفي هذا المقام يرى طه عبد الرحمان أن المنطوق به لا يكون كلاما حتى تحصل منه غاية الإفهام، سواء أكان ذلك الإفهام موافقا لفهم المستمع أو مخالفا له، وبهذا يتبين أن حقيقة الكلام ليست هي الدخول في علاقة بألفاظ معينة بقدر ما هي الدخول في علاقة مع الغير بمعنى أن الذي يحدد ماهية الكلام إنما هو "

[1] المرجع السابق ،ص 214.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العلاقة التخاطبية " وليس العلاقة اللفظية وحدها؛ فلا كلام بغير تخاطب؛ ولا متكلم من غير أن تكون له وظيفة المخاطِب (بكسر الطاء) ولا مستمع من غير أن تكون له وظيفة المخاطَب (بفتح الطاء) [1]

فإذا صح أن التخاطب هو الأصل في الكلام، صح معه أيضا أن العلاقة التخاطبية هي علاقة أصلية يُنْبنى عليها غيرها و لا تتبني على غيرها، كما ركّز على "قصد" المتكلم عند النطق بالكلام أو ما أسماه "**المعنى**" أو "**المراد**" أو "**المقصود**" فيقول: " اللفظ المخاطَب(بفتح الطاء) به سيتحدد لا بالمدلول الموضوع له والمحفوظ في المعاجم، وإنما بالقصد الذي يكون للمتكلم منه عند النطق والذي يدعو المستمع إلى الدخول في تعقبه مقاميا...ومن طريف ما اختص به اللسان العربي إن يجعل «لمدلول» اللفظ أسماء ثلاثة كلها تفيد لغة واصطلاحا مفهوم «القصد» وهي بالذات : "المعنى" و"المراد" و"المقصود"...[2]

ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أن طه عبد الرحمان ركز على مبدأ القصدية أو المرادية من الخطاب .

ومنه فالعلاقة التخاطبية تتحدد من جانب المتكلم بالتوجه إلى المستمع وبإفهامه مُرادَه ومن جانب المستمع بالمتلقي من المتكلم وفهم مراده، وهذا يعني أن المتكلم ليس هو نفسه « المرسل» في نظره لكونه ليس ناقلا خالصا، لا يمارس النقل إلا على مقتضى الجمع بين ضربيه: الصريح والضمني، فقد استحق نقله أن يُدْعى باسم خاص، تمييزا له عن النقل الآلي، وهذا الاسم «المبلغ»؛ فيتبن أن المتكلم ليس ذاتا ناقلة، حتى تجوز مماثلته بـ« جهاز للإرسال» أو قل «المرسل»، وإنما هو ذاتا مُبَلَّغة، أي لا تقصد ما تُظهر من الكلام فقط، بل تجاوزه إلى قصد ما تُبطن فيه، معتمدة على ما أوردت في متنه من قرائن وما ورد منها خارجه[3].

[1] المرجع السابق ، ص 214،215

[2] المرجع نفسه ، ص215

[3] المرجع نفسه ، ص216

كما مَيَّز أيضا في ثنايا كلامه، بين كل من التواصل والتخاطب، فكل تخاطب تواصل، لكن لا يصح أن التخاطب ليس إلا تواصلا، فقد يوجد التواصل بين طرفين ولا يوجد تخاطب بينهما؛ فيجوز أن يُوصَّل المبلَّغ فحوى القول إلى غيره، ولا ينفعه به من أي وجه من الوجوه كما يجوز أن يتوصل المبلَّغ إليه بهذا الفحوى من غير أن ينتفع به، إن لم يفض إلى الإضرار به؛ والتخاطب الذي لا نفع معه لا يكون تخاطبا، وإنما يكون «خَطْبا»، علما بأن مدلول «الخطب» هو أنه الأمر الشديد الذي يكثر فيه القول. [1]

وبيَّن أن **فعل القول** هو؛ أولى مراتب العمل الضرورية لحصول التخاطب إنه لا يحصل الانتفاع منه إلا إذا كان مميزا عن فعل الحيوان بالدرجة الأولى والكائنات الأخرى بالدرجة الثانية، يقول في هذا السياق: "ولا يخفى على ذي بصيرة. إن أولى مراتب العمل الضرورية لحصول التخاطب "فعل القول "نفسه. كما لا يخفى أن مراقبة هذا الفعل القولي على مقتضى الانتفاع لا يمكن أن تكون إلا بإتيانه على مقتضى ما يميز الفعل الإنساني عن غيره من أفعال الكائنات الحية[2] .

فكما أن مراقبة المتكلم لقوله لا يمكن أن تتحقق إلا بإتيان هذا القول على الوجه الذي يمحو منه ما يعيبه عقلانيا في عين المستمع، فكذلك مراقبة المتكلم لفعل قوله لا يمكن أن تتحقق إلا بإتيان هذا الفعل على الوجه الذي يمحو منه القول ما يشينه أخلاقيا في عين المستمع، أي، بإيجاز، بإتيانه على الوجه المهذب، فإذن **التهذيب:** "عبارة عن العمل الذي يُخلِّص القول الطبيعي مما يعيب دلالته وينزع عنه أسباب الانتفاع به". وعلى هذا يرى طه عبد الرحمان أن المتكلم ليس ذاتا مجردة للتبليغ، وإنما هو ذات محمولة على التهذيب. غير أن التهذيب قد يكون على درجتين مختلفتين تورِّثان نوعين متباينين من الانتفاع وهما:[3]

[1] المرجع السابق، ص ص217 – 216

[2] المرجع نفسه ، ص217

[3] المرجع نفسه، ص223

1-**التأدب:** ومقتضاه أن يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به،... والداعي إلى التأدب هو قضاء المصالح والفوز بالخدمات.

2- **التخلق:** ومقتضاه أن يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته البعيدة، فضلا عن اعتبار دلالته القريبة ، ويقوي أسباب الانتفاع الآجل به، فضلا عن اعتبار الانتفاع العاجل به

ومنه فمجمل القول أن العلاقة التخاطبية سبب في تكوثر الكلام، وأن هذا التكوثر يأتيه من جهة تكاثر ذوات المتكلم، فهو تارة قائل ناقل وتارة قائل مُبلِّغ وتارة فاعل متأدب وتارة فاعل متخلق؛ وهذا هو بالذات مضمون الدعوة التكوثرية الأولى التي تقوم بأن الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية.[1]

نستنتج أن الكلام – عند طه عبد الرحمان – يبنى على العلاقة التخاطبية، و أن التخاطب هو إجمالا، عبارة عن إلقاء جانبين لأقوال بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصودا معينا، وأن هذا الإلقاء للأقوال لا ينفك عن أفعال مخصوصة يأتي بها الجانبان بغرض إنهاض أحدهما الآخر للعمل وفق هذا المقصود. ولأن التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال و إتيان الأفعال، كان لزاما أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية، كما لزم أن تنضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية وهي" قواعد التهذيب ".

يعد طه عبد الرحمان من الأوائل العرب المحدثين الذين تمثلوا المقاربة التداولية في تقويم التراث من خلال تناوله لنظرية أفعال الكلام وكشف ملابساتها في التراث اللغوي وذلك من خلال كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي.

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

8- محاور النظرية التداولية عند طه عبد الرحمان :

تولي النظرية التداولية أهمية كبيرة للدور الذي يقوم به المتخاطبون في العالم الاجتماعي، استنادا إلى أن العملية التواصلية لا تنطلق من فراغ بل تستند إلى خلفيات تعود إلى قطبي التواصل وإلى مجموعة المبادئ والمعارف المشتركة بينهم، فهؤلاء المتحاورين يتبعون جملة من القواعد الضمنية الازمة لتحقيق فاعلية هذا التواصل، فاشتدت بذلك عناية الغربيين بضروب التواصل جميعها على اختلاف أطرافها وتعدد أغراضها وتباين أشكالها و مرجعياتها، فكانوا أقدر على الاهتمام بالجانب الخاص في استعمال اللغة، وهو ما دفع "غرايس"* إلى القول أن كل حوار يقوم على مبدأ عام يخضع له كل المتحاورين ويسمى "بمبدأ التعاون"

8-1 مبدأ التعاون :coopérative principale"

يروم هذا المبدأ تعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الخطاب وقد يكون هذا الهدف محدد قبل دخولهما في عملية التخاطب أو يحصل تحديده أثناء هذه العملية " يصاغ هذا المبدأ على الشكل الآتي:" ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه"[1]

وسع غرايس هذا المبدأ العام الذي يحكم عملية التخاطب إلى مجموعة من القواعد أطق عليها اسم القواعد التخاطبية أجمعها غرايس في أربع مسلمات هي كالآتي[2]:

- **مسلمةالقدر**: وتخص قدر (كمية) الاخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع إلى مقولتين:
  - اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الاخبار

* بول غرايسPaul Grice:[1913- 1988]: فيلسوف لغة، بريطاني، مثقف وهو أحد أساتذة جامعة أكسفورد المهتمين بفلسفة اللغة، و من الذين أسهموا في بناء النظرية التداولية الحديثة وذلك بإسهاماته البحثية في تيار فلسفة اللغة العادية، وقد وضع مبدأ التعاون، قضى آخر عشرين سنة من حياته المهنية في الولايات المتحدة. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، مرجع سابق، ص 84.

[1] المرجع السابق، 238

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع السابق، ص ص33-34

- لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب

- **مسلمة الكيف:** ونصها

✓ لا تقل ما تعتقد أنه كاذب

✓ لا تقل مالا تستطيع البرهنة على صدقه

- **مسلمة الملائمة:** وهي

✓ لتكن مشاركتك ملائمة

✓ اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع [1].

- **مسلمة الجهة:** التي تنص على الوضوح في الكلام وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية

✓ ابتعد عن اللبس

✓ تحرَّ الايجاز

✓ تحرَّ الترتيب

- **قواعد ومبادئ مكملة و بديلة لمبدأ التعاون :**

شكلت الانتقادات التي وجهت لقواعد "غرايس "نقطة انطلاق صوب تعديل هذه القواعد أو تطويرها لتستجيب للمستجدات التي طرأت على مختلف العلوم ومن هذه المبادئ والقواعد

8-2 مبدأ التأدب:

تعود صياغة هذا المبدأ إلى " روبين لاكوف Rbin Lakoff " التي تعيب على الباحثين وقوفهم على الشكل اللغوي والاكتفاء به للحكم على مدى صحة الجمل واعتماده معيارا وحيدا يقود إلى تفسير المقبول لبعض التراكيب وهو ما جعل الباحثة تدعو إلى ضرورة الاهتمام بصياغ التلفظ وما يحويه من افتراضات منطقية وتداولية،[2] صاغت "لاكوف" المبدأ العام الذي تقوم عليه العملية التخاطبية في قانون عام قوامه "لتكن مؤدبا "

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مرجع سابق، ص34

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، اسراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص97

و يفضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب مالا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ،[1]

كما فرعت لاكوف ثلاثة قواعد عن مبدأ التأدب سمتها قواعد تهذيب الخطاب إذ يتلفظ المخاطب بخطابه وفقا لواحدة منها أو أكثر وهي[2]:

- **قاعدة التعفف:** لا تفرض نفسك على المخاطب ، أي لتبقى متحفظا ولا تتطفل على شؤون الآخرين .
- **قاعدة التخيير:** قوامها لتجعل مخاطبك يتخذ قراراته بنفسه .
- **قاعدة التودد:** قوامها لتظهر الود للمخاطب .

ومن هنا نستنتج أن هناك علاقة بين مبدأ التعاون ومبدأ التأدب، حيث يتفقان في قاعدة التعفف التي تقتضي الوضوح والرسمية في إنتاج الخطاب وفي تبليغ المعلومات للمتلقي، ويختلفان في قاعدتي التخيير والتودد اللتين تخترقان مبدا التعاون .

[1] طه عبدالرحمان، اللسان أو الميزان، ص240

[2] المرجع السابق، ص102

8-3 مبدأ التواجه:

أما المبدأ التداولي الثالث الذي ينضبط به التخاطب، فهو ما نسميه بمبدأ التواجه مستعملين لفظة تواجه في معناه اللغوي الذي هو (مقابلة الوجه للوجه) وقد ورد مضمون هذا المبدأ عند (براون) و(ليفنسن) في دراستهما المشتركة :كليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدبويمكن أن نصوغ هذا المبدأ كما يلي: لتصن وجه غيرك [1]

ويرتكز هذا المبدأ على مفهومين هما :[2]

أ- **قيمة الوجه الاجتماعية:** يجب على المتكلم أن يصون وجه غيره، ففي ذلك صيانة لوجهه هو وهذا يعكس الاحترام والتعاون المتبادل بينهما وهو على ضربين:

- **الوجه الدافع** : وهو رغبة الإنسان في ألا يعترض الآخرون عن أفعاله
- **الوجه الجالب** : وهو رغبة كل واحد أن تكون ارادته محترمة على الأقل من البعض الآخر

ب- نسبة تهديد الوجه: سعا الباحثان إلى تصنيف استراتيجيات التخاطب لضمان الاحترام المتبادل بين المتخاطبين مما يستدعي تصنيفا للأفعال التي تهدد الوجه فهما يربطان بين الأفعال اللغوية وبين نسبة تهديدها للوجه

- **القواعد المتفرعة عنه:** تتفرع عن مبدأ التواجه حسب (براون وليفنسن) خطط تخاطبية خمسة على المتكلمان يختار منها ما يلاءم قوله وهي:[3]

✓ يمتنع المتكلم عن ايراد القول المهدد

✓ أن يصرح بالقول المهدد من غير تعديل يخفف من جانبه التهديدي

✓ أن يصرح بالقول المحدد مع إمكانية التعديل الذي يدفع عن المستمع الاضرار بوجه الدافع

✓ أن يصرح بالقول المهدد مع إمكانية التعديل الذي يدفع عن المستمع الاضرار بوجه الجالب

---

[1] المرجع السابق، ص 243

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق ص ص103-104

[3] طه عبد الرحمان ،اللسان أو الميزان أو التكوثر العقلي، ص244

✓ أن يؤدي القول بطريق التعريض ويترك للمستمع أن يتخير أحد معانيه المستمعة

ولتوضيح هذه الخطط التخاطبية الخمسة يسوق طه عبد الرحمان المثال الآتي : وهو "طلب إغلاق النافذة "الذي يحلل وفق مبدأ التواجه كما يلي:

- يرى المتكلم عدم المخاطرة بالوجه لأن هذا يضر به وبالمستمع فيمتنع عن طلب إغلاق النافذة من المخاطب .
- قد يطلب المتكلم من المستمع إغلاق النافذة دون أن يستعين بصيغة تلطف من الأثر التهديدي لهذا الطلب كأن يقول له أطلب منك أن تغلق النافذة
- وقد يتوسل المتكلم من المخاطب عند طلبه إغلاق النافذة بصيغة تحفظ الوجه الدافع لهذا المستمع، كأن يقول: لك هل لك أن تغلق النافذة ؟
- وقد يتوسل المتكلم من المخاطب عند طلبه إغلاق النافذة بصيغة تحفظ الوجه الجالب لهذا المستمع كأن يقول له:(ألست تبادر إلى إغلاق الباب فقد تعرضنا لمجرى الهواء ؟).
- قد يطلب المتكلم من المخاطب إغلاق النافذة بطريق التعريض، كأن يقول له:"إن الجلوس في مجرى الهواء مؤذ إيذاء" تاركا لمخاطبه استنباط المعنى المقصود بنفسه[1].

[1] ينظر المرجع السابق، ص نفسها.

8-4 مبدأ التأدب الأقصى :

إن قصور هذا المبدأ (التأدب) عن الاشتغال بالبعد التقريبي من العمل التهذيبي، استلزم مبدأ آخر: وهو مبدأ التأدب الأقصى الذي يورده" جيوفريليتش"Geoffrey LEECH في كتابه مبادئ التداوليات ويعده مكملا لمبدأ التعاون ، ويصوغه في صورتين اثنتين[1] :

الأولى سلبية: مفادها قلل من الكلام غير المؤدب

الثانية إيجابية: مفادها أكثر من الكلام المؤدب

ركز " ليتش " على مبدأ التأدب الأقصى فقننه في قواعد ذات صور ثنائية ، نتج عن ذلك ست قواعد هي:[2]

- **قاعدة اللباقة وصورتاها هما :**
  - أ- قلل تكلفة الغير
  - ب- أكثر ربح الغير
- **قاعدة السخاء وصورتاها هما :**
  - أ- قلل ربح الذات
  - ب- أكثر خسارة الذات
- **قاعدة الاستحسان وصورتاها هما :**
  - أ- قلل من ذم الغير
  - ب- أكثر من مدح الغير
- **قاعدة التواضع وصورتاها هما :**
  - أ - قلل من مدح الذات
  - ت- أكثر من ذم الذات

[1] المرجع السابق، ص246

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ص111- 112

- **قاعدة الموافقة وصورتاها هما :**

أ- قلل الاختلاف بين الذات وبين الغير

ب- أكثر من موافقة الذات مع الغير

- **قاعدة التجانس وصورتاها هما :**

أ- قلل كراهية الذات للغير

ب- وأكثر انسجام الذات مع الغير

ونمثل لهذه القواعد بالأمثلة التالية [1]:

أ-مدني بمال

ب- أريد أن تمدني بمال

ت- هل تستطيع أن تمدني بمال؟

ث- ليتك تمدني بمال.

فالجملة الأولى تدل على المعنى المباشر للأمر، وبالتالي فهي أقل الأمثلة الأربعة لباقة، فتكون بذلك أكثر عرضة لفتح باب المنازعة والمخالفة، أما الجملة الثانية أكثر منها لباقة حيث إنها تستبدل بالجملة الأمرية جملة خبرية تترك للمخاطب الاختيار في إنجاز ما طلب منه، وأما الجملة الثالثة، فأكثر من السابقتين لباقة لأنها جاءت في صورة سؤال يفتح للمستمع باب الجواب بلا أو بنعم، في حين تكون الجملة الأخيرة أكثر الجمل الأربع لباقة، لأنها تظهر عدم طمع المتكلم في وقوع المطلوب، حتى إذا لم يقع هذا المطلوب من المخاطب لم يؤدي ذلك إلى تنازع أما إذا وقع، فإنه يكون بمنزلة تفضل منه على المتكلم فيكون المخاطب قد منح النهاية في التخيير.

إلا أن ارتكاز هذا المبدأ على قانون الربح والخسارة التي تقتضي ربح الغير الذي يقابله خسارة الذات؛ جعل العمل التخاطبي أشبه ما يكون بصفقة تجارية قوامها الخدمات التي يقدمها المتكلم للمخاطب ؛ فالذي يطلب من غيره أمرا يكون أقرب إلى ذلك الذي حصل على

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص247

خدمة منه، والذي يكون قد وقع منه أذى لغيره بكون كمن عليه دين الاعتذار وإن عفا هذا الغير عليه كان بمثابة إلغاء لهذا الدين [1]

ولما كان مبدأ التأدب الأقصى، وإن انبنى على التقرب، ذهب فيه مذهبا يجعله قائما على التظاهر وعلى تحصيل الأغراض. وهو ما جعل طه عبد الرحمان يصوغ مبدأ آخر سماه (مبدأ التصديق)

8-5 مبدأ التصديق:

بعد مراجعته للمبادئ السابقة وكشفه عن بعض الثغرات التي تشكوا منها، سعى طه عبد الرحمان إلى صياغة مبدأ يسد به بعض القصور الذي بدا واضحا على المبادئ السابقة التي أضاف لها، مبدأ آخر يسمى (مبدأ التصديق) ، الداعي إلى وجوب ربط القول بالفعل و النظر بالعمل.[2]

ويأتي هذا المبدأ تماشيا مع دعوى أطلقها الباحث في إطار ما أسماه **(بمجال التداول العربي)** يقول: **(لا سبيل إلى تقويم الممارسة التراثية مالم يحصل الاستناد إلى مجال تداولي متميز عن غيره من المجالات بأوصاف خاصة ومنضبطة بقواعد محددة يؤدي الإخلال بها إلى آفات تضر بهذه الممارسة)**[3]

وتتبني هذه الدعوى على الأركان الثلاثة الآتية :[4]

- ✓ تميز المجال التداولي عن غيره من المجالات الثقافية .
- ✓ أصناف القواعد التي ينضبط بها هذا المجال في الممارسة التراثية .
- ✓ أنواع الآفات المترتبة عن الإخلال بقواعد هذا المجال .

[1] المرجع السابق، ص ص249- 248

[2] حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، مرجع سابق ص132

[3] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص243

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تبين للباحث أن مبدأ التعاون والقواعد المتولد منه لا تضبط إلا الجانب التبليغي من الخطاب في حين أهملت الجانب التهذيبي منه ، وهو ما دعاه ، إلى وضع مبدأ بديل أسماه مبدأ التصديق الذي نجد له إرهاصات وصور مختلفة في التراث الإسلامي منها:

مطابقة القول للفعل، و تصديق العمل للكلام، ويمكن صياغة هذا المبدأ كما يلي:

- ✓ لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك[1]

قوام هذا المبدأ عنصران إثنان هما:[2]

أحدهما: نقل القول ويتعلق من الجانب التبليغي من المخاطبة

الثاني: تطبيق القول الذي يتعلق بالجانب التهذيبي

يتفرع عن مبدأ الصدق في جانبه التبليغي قواعد أخذها طه عبد الرحمان من كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي وهي [3]:

- ✓ أن يكون للكلام داع يدعو إليه ، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر
- ✓ أن يوظف المتكلم الكلام في موضعه ويتوخى له إصابة فرصته
- ✓ أن يكون الكلام على قدر حاجته
- ✓ أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به .

[1] الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، دت، 237

[2] الرجع السابق ،ص249

[3] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص 249

يرى (طه عبد الرحمان) أن هذه القواعد جامعة تدور في فلك ما يسمى بمبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عليه إلا قاعدة واحدة وهي قاعدة الكيف أو الصدق [1] تأتي هذه المقابلة على النحو الآتي:[2]

- **القاعدة الأولى:** تقوم مقام مبدأ التعاون والقاسم المشترك بينهما أن كليهما يشترط تحديد هدف معين للمخاطب، وإذا خلت المخاطبة من هذا الهدف كانت باصطلاح الماوردي (هجرا أوهذيانا)
- **القاعدة الثانية:** تقوم مقام قاعدة العلاقة فهي تقضي أن يكون لكل مقام مقال يناسبه.
- **القاعدة الثالثة:** تقوم مقام قاعدة الكم فهي توجب الاكتفاء بما هو ضروري في الخبر كما توجبه قاعدة الكم، أما إذا خرج الكلام عن ذلك بالتقصير سمي باصطلاح الماوردي(حصراً)؛أما إذا خرج عنها بالتكثير سمي عنه (هذراً)
- **القاعدة الرابعة:** تقوم مقام قاعدة الجهة فهي تشترط مراعاة صحة المعاني وفصاحة الألفاظ واتباع أساليب الوضوح فإذا خرج الكلام عن هذه القواعد كان مختل المعنى ومستغلق اللفظ

يتفرع عن مبدأ الصدق في جانبه التهذيبي قواعد قام طه عبد الرحمان استقرائها واستنباطها من التراث الإسلامي العربي ويجملها في ثلاث قواعد مع صياغتها مع مقتضى قواعد التخاطب المعلومة :[3]

- ✓ قاعدة القصد: لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير
- ✓ قاعدة الصدق: لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك
- ✓ قاعدة الإخلاص : لتكن في تودك للغير متجردا من أغراضك.

[1] الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص266. يراجع التهميش

[2] المرجع السابق، ص ص250،249

[3] المرجع نفسه، ص250

والملاحظ على هذه القواعد أنها قريبة من قواعد مبدأ التأدب وقواعد التواجه مع محاولة طه عبد الرحمان عدم الوقوع في المزالق التي وقعت فيها هذه المبادئ من خلال هذا التقسيم نجد :

يترتب عن قاعدة القصد أمران أساسيان هما: وصل المستوى التبليغي بالتهذيبي للمخاطبة وإمكانية الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول إلى الدلالة المستلزمة

تتميز قاعد القصد عن مبدأ التأدب (لايكوف) أنها تأخذ بعنصر العمل من الجانب التهذيبي أن على جهة المتكلم أو من جهة المخاطَب .

تقتضي قاعدة الصدق ممارسة في مستويات ثلاثة هي :

- ✓ الصدق في الخبر: يقتضي صدق الخبر أ ن يحفظ المتكلم لسانه عن قول أشياء للمخاطب على خلاف ماهي عليه .
- ✓ الصدق في العمل: يقتضي الصدق في العمل أن يصون المتكلم سلوكه ولا يشعر المخاطب بأوصاف هي على خلاف ما يتصف به
- ✓ مطابقة القول للفعل: تقتضي أن يحفظ المتكلم لسانه وسلوكه ولا يشْعر المخاطب وجود تفاوت بينهما .

إن الوقوف عل محاسن المبادئ السابقة ومساوئها هو ما دفع طه عبدالرحمان ليقدم بديلا لهاته القواعد مستوحاة من التراث الإسلامي

وفي الختام توصل طه عبد الرحمان إلى أن التخاطب بنية تفاعلية تقوم على ضربين من المبادئ: مبادئ تواصلية وأخرى تعامليه، وأن هذه المبادئ تتفاضل فيما بينها تفاضلا؛ فمبدأ التأدب يفضل مبدأ التعاون بتقعيده للجانب التهذيبين ومبدأ التواجه يفضل مبدأ التأدب بتعرضه لعنصر العمل من الجانب التهذيبي، ومبدأ التأدب الأقصى يفضل مبدأ التواجه لوقوفه على التقرب من الغير التي يؤديها العمل، ومبدأ التصديق يفضل مبدأ التأدب الأقصى، لأنه يقوم بشرطي التقرب من الغير، وهما الصدق والإخلاص، فيكون بذلك أفضل

المبادئ وأكملها جميعا، ولا عجب أن يكون هو الصل الذي تقرر في الممارسة التراثية الإسلامية العربية.[1]

فقد نحا طه عبد الرحمن في مجال ظاهرة التخاطب الإسلامي منحى علميا وشاملا، في الكشف عن آلياتها والقواعد التي تنضبط بها الدلائل فيها وعلاقاتها بمستعمليها و المقاصد التي توجه التداول الخطابي بينهم ممارسة وتفاعلا، مستلهما في ذلك نظريات الغربيين استلهاما تأصيليا ينم عن فهم لها ولمرجعياتها واقفا عند خصوصياتها ، ونقائصها ، متمثلا ومراجعا لها من خلال مثيلاتها من المفاهيم والآراء عند علماء الإسلام)[2]

إن جهود هذا الباحث (يحكمها منطق واحد وهو السعي إلى التمثل والتأصيل وهاجس لا يقدره إلا من تمثل المناهج الغربية التي نستهلكها ونظر من خلالها إلى التراث من أجل التعريف أو الكشف عن الجوانب الغامضة فيه ، إنها استراتيجية عملية منطقية يعتمدها سواء في نقد النظريات أو صياغة أخرى أو في وضع المقابل العربي للمصطلح الأجنبي)[3]

إن ما يميز فكر طه عبد الرحمان في حقل التداولية اهتمامه بالجانب التواصلي الإنساني والتعامل الأخلاقي، و الغرض من ذلك تحقيق الضوابط التبليغية و التهذيبية التي تخص التخاطب بغية حصول تواصل بين المتخاطبين فنقده للنظريات و صياغته لمبدأ التصديق المؤسس على خلفية الصدق و الكذب.

إن فكر طه عبد الرحمان بلغ مبلغا كبيرا ومشهودا لما جاء به من رؤى لم يجرء الكثير من المفكرين العرب على طرحها فهو كما أطلق عنه الكثيرين "غرايس العرب".

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص253

[2] آمنة بلعلى، المنطق التداولي عند طه عبد الرحمان وتطبيقاته ، ص278

[3] المرجع نفسه ،ص279

الخاتمـــــة

كان من العرب علماء وضعوا أنفسهم على عرض طريق العلم؛ منيرين درب غيرهم وناحتين لأنفسهم مجدا لا يستهان به، ومن هؤلاء: طه عبد الرحمان؛ حيث حاولنا في عملنا أن نلفت النظر إلى هذا الرجل الموسوعي بمعرفته فقد أظهر براعة في دراسة التخاطب الإسلامي وفي الكشف عن آلياته والقواعد التي ينضبط بها، مستلهما من نظريات الغربيين استلهاما تأصيليا، مقدما بديلا لهذه القواعد مستوحاة من المجال التداولي للتراث الاسلامي، حيث حاول التعريف بالفكر التداولي وتأصيله في الثقافة العربية الإسلامية، وفي نهاية المشوار العلمي للبحث الموسوم بـ التفكير التداولي عند طه عبد الرحمان من خلال مؤلفاته " نخلص إلى أهم النتائج التالية:

- لأن مصطلح "**التداولية** " يفي بالغرض المطلوب من حيث المعنى والاستعمال فإن ذلك ما جعل أغلب الباحثين يفضلونه عن المصطلحات الأخرى فهو مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب و التواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى.
- تهتم التداولية بدراسة اللغة أثناء استعمالها دون أن تهمل المعنى الذي يحدده السياق المقامي مركزة في ذلك على عناصر العملية التبليغية، وهي تسعى إلى بلورة نموذج تأويلي، يتدبر شروط الملفوظ و ظروفه، أي معرفة العالم، ليهتدي إلى ما لا يظهر صريحا من المعنى، فهي بهذا تعيد الاعتبار إلى السياق، وإلى الذات وإلى المخاطب، أي إلى فعل التذاوت في كليته.
- تقع التداولية في مفترق طرق البحث الفلسفي واللساني وهذا ما يجعل تحديد مفهومها أمرا صعبا وذلك بسبب اختلاف المذاهب ووجهات النظر الفكرية والمعرفية .
- انبثقت التداولية من رحم الفلسفة التحليلية، حيث أن المتأمل في مراحل تطور التداولية وتحولاتها يدرك لا محالة مدى الارتباط الوشيج الذي ما انفك يصل التداولية بالفلسفة التحليلية، ونجد لكل واحد من منظريها المعاصرين مستندا فلسفيا يأوي إليه.

- لقد كان لآراء فتجنشتين أثراً كبيراً في سياق الفلسفة التحليلية و تيارتها الجديدة وخاصَّة ما أصبح يُعرف في تاريخ الفلسفة المعاصرة بمدرسة "كمبريدج" Cambridg ومدرسة أكسفورد Oxfoed أو مدرسة أفعال الكلام، وقد مثلتها بعمق تنظيرات كل من جون أوستين وجون سيرل، المتعلقة بنظرية الأفعال الكلامية والتي تعتبر بحق أهم نظرية في الدرس التداولي المعاصر وأجهزته المفاهيمية.
- إن اهتمام التداولية بدراسة اللغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة نحو علم التراكيب وعلم الدلالة و اللسانيات والفلسفة التحليلية والبلاغة ...إلخ
- أبانت دراسات القدامى من نحاة وبلاغيين لمقومات الفعل التواصلي من مراعاة للمتكلم والمخاطب والمقام والقصد، عن جهد جبار يقتضي التقدير والاعتراف، ويحتاج إلى جمع شتات هذه الجهود المتفرقة للتأصيل لفكر تداولي عربي محض وهذا ما أثبته المفكر طه عبد الرحمان.
- لأن تجديد المعرفة الإسلامية يستدعي النظر في الأسس المولدة لهذه المعرفة أو الآليات المنتجة لهذه المعرفة ، الأمر الذي جعل طه عبد الرحمان يبدي تصورا منهجيا يفصح عن فحوى هذا التجديد سماه "بالمجال التداولي."
- يعد طه عبد الرحمان من أبرز الباحثين والمفكرين العرب في المجال التداولي، وفي محاولته التعريف بالفكر التداولي وتأصيله في الثقافة العربية الإسلامية.
- نجد طه عبد الرحمان من بين المفكرين الأكثر اشتغالا في التراث، حيث سعى إلى إرساء قاعدة فلسفية إسلامية أصيلة مرتبطة بالمنهج التداولي الإسلامي وذلك من خلال تجديده للمفاهيم بعد أن طغت عليها المناهج الغربية المتداولة .
- قدم طه عبد الرحمان تعريفا للمجال التداولي ربطه باللغة والعقيدة والمعرفة التي تؤسس لإحداث التواصل والتفاعل .
- يعتبر المجال التداولي عند طه عبد الرحمان الدعامة الأساسية المؤسسة للنظرية التكاملية للتراث، فهو أداة تقويم هذا التراث من خلال أصوله وأركانه المحددة في ؛

اللغة والعقيدة والمعرفة ، وتتحدد آليات اشتغاله بمبدأين هما :" التداخل المعرفي والتقريب التداولي".

- يختص المبدأ الأول (التداخل المعرفي)؛ ببحث تكامل التراث من خلال معارفه المختلفة، بينما يختص المبدأ الثاني (التقريب التداولي)؛ بتقريب العلوم المنقولة إلى المجال التداولي العربي الاسلامي .
- حرص طه عبد الرحمان أن نستمد أفكارنا من مقومات مجالنا التداولي الاسلامي وأن نضع فلسفة على مقاسنا نابعة من تراثنا وواقعنا وأن نرفض ما يقرره الغرب لنا .
- استمد طه عبد الرحمان وسائله المنهجية سواء في بناء التعريفات أو صياغة النظريات أو قراءة التراث من مصدرين معرفيين: الأول فرع التداوليات والثاني المنطق.
- يبنى الكلام عند طه عبد الرحمان على العلاقة التخاطبية ، و أن التخاطب هو إجمالا، عبارة عن إلقاء جانبين لأقوال بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصودا معينا، وأن هذا الإلقاء للأقوال لا ينفك عن أفعال مخصوصة يأتي بها الجانبان بغرض إنهاض أحدهما الآخر للعمل وفق هذا المقصود. ولأن التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال و إتيان الأفعال، كان لزاما أن تضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية، كما لزم أن تضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية وهي" قواعد التهذيب "
- نظر طه عبد الرحمان في القوانين التي ينضبط بها التخاطب، حيث تبين له أن القواعد التي صاغها المحدثون يكرر بعضها بعضا كما لاحظ أيضا فيها نقائص وقصور، ينطلق من المبدأ الأول وهو مبدأ التعاون الذي ورد عند بول غرايس الذي يقتضي تعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الخطاب.

- وجه نقدا لهذا المبدأ في كونه يرتكز على الجانب التبليغي و يهمل الجانب التعاملي أو التهذيبي الذي قد يكون هو الأصل في خروج المعاني الحقيقية أو المباشرة إلى معاني أخرى.
- يورد طه عبد الرحمان المبدأ الثاني وهو مبدأ التأدب الذي أوردته "روبين لاكوف" الذي يأخذ بالجانب التبليغي والتهذيبي للتخاطب و يرى طه عبد الرحمان أنه يفتقر إلى الوظيفة العملية أو ما سماه بمقاصد إصلاح السلوك ، لذا لجأ إلى مبدأ آخر هو "مبدأ التواجه" "لبراون وستيفن ليفونسن" المأخوذ من ظاهرة التأدب، اللذين يرايان أن هناك من الأقوال التي تنزل في التداوليات منزلة الأعمال وتدفع إلى عمل شيء، يلزم المستمع قبوله أو رده ويقوم السلوك؛ اعتذار أو ندما ، وجد طه عبد الرحمان قصورا في هذا المبدأ عن الاشتغال بالبعد التقريبي من العمل التهذيبي .
- فاستلزم مبدأ آخر وهو مبدأ التأدب الأقصى الذي يورده "جيوفريليتش" ويَعدُّه مكملاً لمبدأ التعاون و يصوغه في صورتين الأولى سلبية: "قلل من الكلام الغير المؤدب"، والثانية ايجابية: " أكثر من الكلام المؤدب وتتفرع عنها قواعد اللباقة والسخاء والاستحسان والتواضع والاتقان والتعاطف، فوجدها عبد الرحمان قائمة على التظاهر وتحصيل الأغراض.
- اقترح مبدأً مستمداً من جهود علماء الاسلام يرفع عن التأدب والتظاهر ويجرده من الغرضية، ويجعله تقربا خالصا وهو مبدأ التصديق الداعي إلى وجوب ربط القول بالفعل والنظر بالفعل والنظر بالعمل، وصاغ له قواعد واعتبرها جامعة لمبدأ التعاون لغرايس والقواعد المتفرعة عنه .
- لقد أعطى النقد الذي قدمه طه عبد الرحمان البدائل بطريقة منطقية لأنه لاحظ أن هذه القواعد وإن كانت تضبط أغلب فعاليات التخاطب الإنساني ، إلا أن الخطاب الأدبي والشعري لا ينضبط بها .

- إن أهم ما قاله طه عبد الرحمان في مجال نظرية الأفعال الكلامية صياغته لمبدأ التصديق المؤسس على خلفيتي الصدق، والاخلاص؛ ويقوم هذا المبدأ على قاعدة " لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك.
- يعد طه عبد الرحمان من الأوائل العرب الذين تمثلوا المقاربة التداولية في تقويم التراث من خلال تناوله لنظرية الأفعال الكلامية ، وكشف ملابساتها في التراث اللغوي وذلك من خلال كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي .

وبهذا يمكننا القول بأن طه عبد الرحمان صاحب نظرية عربية اسلامية تأصيلية وتداولية فهو ليس مقلدا، بل هو صاحب نظرة أخلاقية اسلامية جديدة يسعى من خلالها إلى انشاء نظريات ذات مرجعية تأصيلية عربية اسلامية و فكر طه عبد الرحمان بلغ مبلغا كبيرا ومشهودا لما جاء به من رؤى لم يجرء الكثر من المفكرين العرب على طرحها فهو كما أطلق عنه الكثيرين "غرايس العرب".

وفي الأخير، لا ندعي الإلمام والإحاطة بكل الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع، ومادامت الكتابة النقدية في أرقى مستوياتها لا تعدو كونها احتمالاً، نجزم أن ما ورد في بحثنا من رؤى نقدية، ما هو إلا مقاربة خاصة، يبقى المجال مفتوحا دائما، والأفق فيه أوسع لمن أراد التغلغل في حيثيات هذا الموضوع المتشعبة والغزيرة.

نرجو من الله أن يتقبل منا هذا العمل وأن يحقق به النفع والفائدة للدارسين. و أن يوفقنا لما يحبه و يرضاه، ويتجاوز عنا كل خطاء، أو زلل، والحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة

المصادر والمراجع

🕮 القرآن الكريم برواية ورش عن حفص.

🕮 أولا الكتب:

1- ابراهيم مشروح، طه عبد الرحمان: قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط 1، 2009 م.

2- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د ط 1979م، ج 2 .

3- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية(مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1 ، 1978،

4- أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1958م، مج: 02

5- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998

6- أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، د ط ، 2015م

7- آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: د سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، الطليعة. بيروت، لبنان، ط1،2003.

8- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن ط 1، 2012 م.

9- جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية، التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، مكتبة المثقف، ط1، 2015م.

10- جميل حمداوي، التداوليات و تحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015م

11- جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب ، القاهرة، د ط ،2000.

12- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م

13- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم. بيروت . لبنان ،ط1، 2010،

14- حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 2، 2014.

15- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، افريقيا الشرق، المغرب 2004 م .

16- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1،2009.

17- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل، تيزي وزو، ط2، د ت.

18- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 ،1988م.

19- جار الله الزمخشري، تفسير الكشّاف ، تح : خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ط 3، 2009 م

20-جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3 ،1994، مج :11 .

21- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم ، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، 2000.

22- السيد عبد الفتاح جاب الله، فلسفة اللغة والمنطق، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2014م،

23- طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2013 م.

24- طه عبد الرحمان تجديد المنهج في تقويم التراث ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ط1، د ت.

25- طه عبد الرحمان سؤال العمل ، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ط1، 2012

26- طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.

27- طه عبد الرحمان، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2001م.

28- طه عبد الرحمان، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006

29- طه عبد الرحمان، فقه الفلسفة-1- الفلسفة والترجمة المركز الثقافي العربي، المغرب ط 1، 1995

30- طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ط1،2011م

31- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2 ، 2000م

32- عبد القاهر جرجاني دلائل الإعجاز، د ط ، د ت..

33-عبد الهادي بن ظافر الشهري ، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة، بنغازي – ليبيا- ط 1 ، 2004م.

34- علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البرجماتية أصولها ومبادئها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008م.

35- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، ط 3 ، 1968.

36- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب، 1986م، د ط، د ت.

37- فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الأصوليين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط 1 ، بيروت، 2016 م

38- فليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا ، ط1 ،2007م

39- فؤاد كامل، اعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل . بيروت، ط1، 1993 م .

40- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 1998م.

41- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 1999.

42- محمد عبد العزيز عبد الدايم، عرفات فيصل المناع: نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، مؤسسة السياب، لندن ط 1، 2015 م

43- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة ط1، المتحدة، بيروت، لبنان،2004 م، ،

44- محمد محمد يونس علي ،المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الاسلامي، ط2 ، 2007 م.

45- محمد محمد يونس علي ،علم التخاطب الاسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الاسلامي . لبنان . ط1، 2006.

46- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي ، ليبيا، ط 1،2004 م .

47- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، د ط ،2002م.

48- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 ، 2013م.

49- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، د ط 1985م

50- مختار زواوي، فصول في تداوليات، ترجمة النص القرآني ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر ط 1 ، 2017 م .

51- مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، دار الأمان، الرباط ، دار ومكتبة عدنان، بغداد ،ط1، 2015م،

52- مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت ، لبنان . ط1، 2005

53- معاذ بن سلمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقاربة تداولية، نادي القصيم الأدبي، ط 1، 2014 ،

54- المهدي ابراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي – ليبيا، د ط، 2011م

55- مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة ، دار قباء، القاهرة، د ط، 1998م.

56- ميجان الرويلي، و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي . المغرب، ط3، 2002م .

57- منال النجار، مفهوم البرغماتية ونظرية المقام- ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، اشراف، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 2، 2014،

58- فان دايك، النص والسياق تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب ، د ط ، 2000

59- ابو نصر الفارابي، كتاب الحروف ، تح: محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، ط 2، 1990 م

60- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، د ت.

61- هانس سلوجا، فتجنشتين، تر: صلاح اسماعيل، المركز القومي، القاهرة ، ط 1، 2014 م.

62- ابو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط 1 ، 1952.

63- يوسف بن عدي، مشروع الابداع الفلسفي العربي، قراءة في أعمال د طه عبد الرحمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان ، ط 1، 2012.

🕮 ثانيا المراجع باللغة الأجنبية:

1- Philippe breton – L'argumentationdans la communication –casbahédition – Alger –1998-

2- Ruth Amossy, L'argumentationDans Le Discours, Nathan, Paris, 1ed, 2000

🕮 ثالثا الرسائل الجامعية :

1- عبد الخالق رشيد، العدول عن مقتضى الظاهر في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية ، إشراف، مختار حبَّار، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران ،الجزائر 2007م،2008م

2- غالي فطيمة، تجليات نظرية أفعال الكلام في الدرس البلاغي العربي ، إشراف د مكاوي خيرة ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التراث النقدي ومناهج القراءة الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم – الجزائر ، 2013 م، 2014 م

🕮 رابعا الدوريات :

1- آمنة بلعلى، المنطق التداولي عند طه عبد الرحمان و تطبيقاته، مجلة اللغة والأدب، العدد 17 .

2- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر ، العدد 07، 2001م.

3- محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة ، مجلة عالم الفكر، مج 28، العدد3 – يناير– مارس، 2000،

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكـــر وعرفان.....4

مقدمة.....أ-د

مدخل:إشكالية المصطلح بين الترجمة والتعريب

1- مصطلح البراجماتية: (الذرائعية- النفعية).....7

2- مصطلح السياقية:.....10

3- مصطلح التخاطبية :.....12

4- مصطلح المقامية :.....14

5- مصطلح التداولية:.....17

الفصل الأول: ماهية التداولية

1-مفهوم التداولية :.....21

أ-في التراث العربي:.....21

ب-و من شواهد استخدامه في القرآن الكريم :.....23

ج- المفهوم الاصطلاحي:.....24

2- روافد الدرس التداولي:.....30

2-1 الفلسفة التحليلية:.....30

2-2 طبيعة اللغة عند فتجنشتين:.....37

2-3 إسهامات أوستين في التداولية:.....39

2-4 إسهامات شارل موريس:.....41

3- علاقة التداولية بالعلوم اللغوية الأخرى:.....44

3-1 علاقتها بالفلسفة التحليلية:.....44

3-2 علاقتها باللسانيات:.....45

3-3 علاقتها بعلم التراكيب:.....46

3-4 علاقتها بعلم الدلالة:.....47

3-5علاقة التداولية بعلم السيمياء :.....49

3-6 علاقتها بالبلاغة:.....51

4- ملامح الدرس التداولي عند العلماء العرب :.....53

4-1 التداولية عند العرب القدماء:.....54

4-2 التداولية عند العرب المحدثين :.....59

الفصل الثاني : مشروع التجديد التداولي عند طه عبد الرحمان

1-شخصه وحياته :.....65

2-الجذور الفلسفية التي صنعت شخصية طه عبد الرحمان التداولي:.....67

3-مصادر فلسفته:.....71

2-1 اللغة و المنطق:.....71

2-2 فقه الفلسفة:.....75

4-مظاهر التجديد التداولي عند طه عبد الرحمان :.....79

5-حدود آليات الاشتغال التداولي :.....80

6-مصادر التفكير التداولي عن طه عبد الرحمان :.....84

7-نظرية الأفعال الكلامية عند طه عبد الرحمان:.....89

8- محاور النظرية التداولية عند طه عبد الرحمان :.....94

8-1 مبدأ التعاون :coopérative principale".....94

8-2 مبدأ التأدب:.....95

8-3 مبدأ التواجه:.....97

8-4 مبدأ التأدب الأقصى :.....99

8-5 مبدأ التصديق:..... 101

الخاتمة..... 101

قائمة المراجع..... 107

فهرس الموضوعات..... 120

الملاحق

يقول الدكتور:« إذا نحن استعملنا ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في كتاباتنا، فلأن هذا الاستعمال تقليد عربي أصيل، في صيغة التكلم من صيغ الكلام، ثم لأنه هو الاستعمال المتعارف عليه في المقال العلمي و التأليف الأكاديمي، فضلا عن أنه يفيد معنى «المشاركة» و«القرب» ، إذ يجعل المتكلم ناطقا باسمه وباسم غيره، ولا غير أقرب إليه من المخاطب، حتى كأن هذا المخاطب عالم بما يخبره المتكلم ومشارك له فيه، فيكون ضمير الجمع، من هذه الجهة، أبلغ في الدلالة على التأدب والتواضع من صيغة المفرد، ولا دلالة له اطلاقا على تعظيم الذات و لا الاعجاب بالنفس».

من كتاب اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ص 13.

كتب الفيلسوف طه عبد الرحمن:

"إن ما يتبادله "الشبكيون" فيما بينهم ليس أفعالا بقدر ما هو ردود أفعال، و شتان بين الفعل و بين رد الفعل: فالأصل في الفعل أن يصدر عن ارادة الانسان، و ينطوي على المبادرة و يحتمل الانتظار، بينما الأصل في رد الفعل أن يصدر عن الالة، واذا صدر عن الانسان، فانه يصدر عن الجانب الالي منه... و التفاعل الحقيقي لا يأتي من جهة ردود الأفعال، وانما من جهة الأفعال ..إن العلاقة الافتراضية التي تقوم بين الشبكيين ليست أبدا من جنس العلاقة الاجتماعية، فهذه تقتضي أن يتصرف كل واحد من طرفيها بما يقوي اعتباره للآخر، و أن يتعاون معه في تحقيق الصالح العام، في حين أن العلاقة المعلوماتية تجعل الواحد من الطرفين يتصرف في الآخر بما يقوي اعتباره لذاته، و يفتح له فرص قضاء مصالحه الخاصة، إذ يستحضره في عالمه الافتراضي متى شاء، و يحصل منه المعلومات التي شاء، ويزوده منها بما شاء، و التفاعل الحقيقي لا يأتي من اعتبار الذات و السعي إلى المصالح الخاصة، و إنما من "اعتبار الآخر" و "السعي إلى الصالح العام. "

من كتاب : " الحق الاسلامي في الاختلاف الفكري " ص207

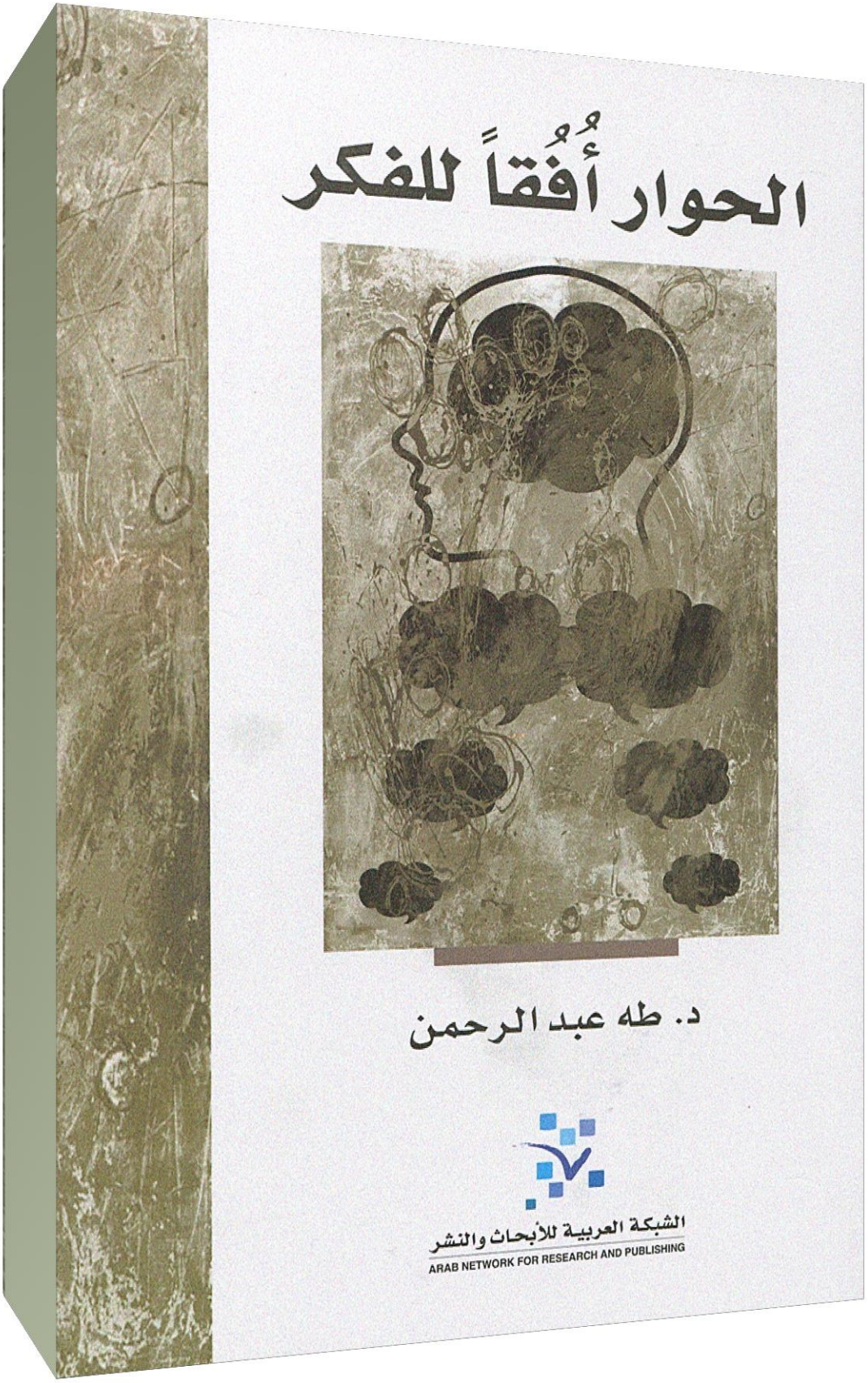
الحوار أُفُقاً للفكر
د. طه عبد الرحمن
الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

الدكتور طه عبد الرحمن
تجديد المنهج
في
تقويم التراث

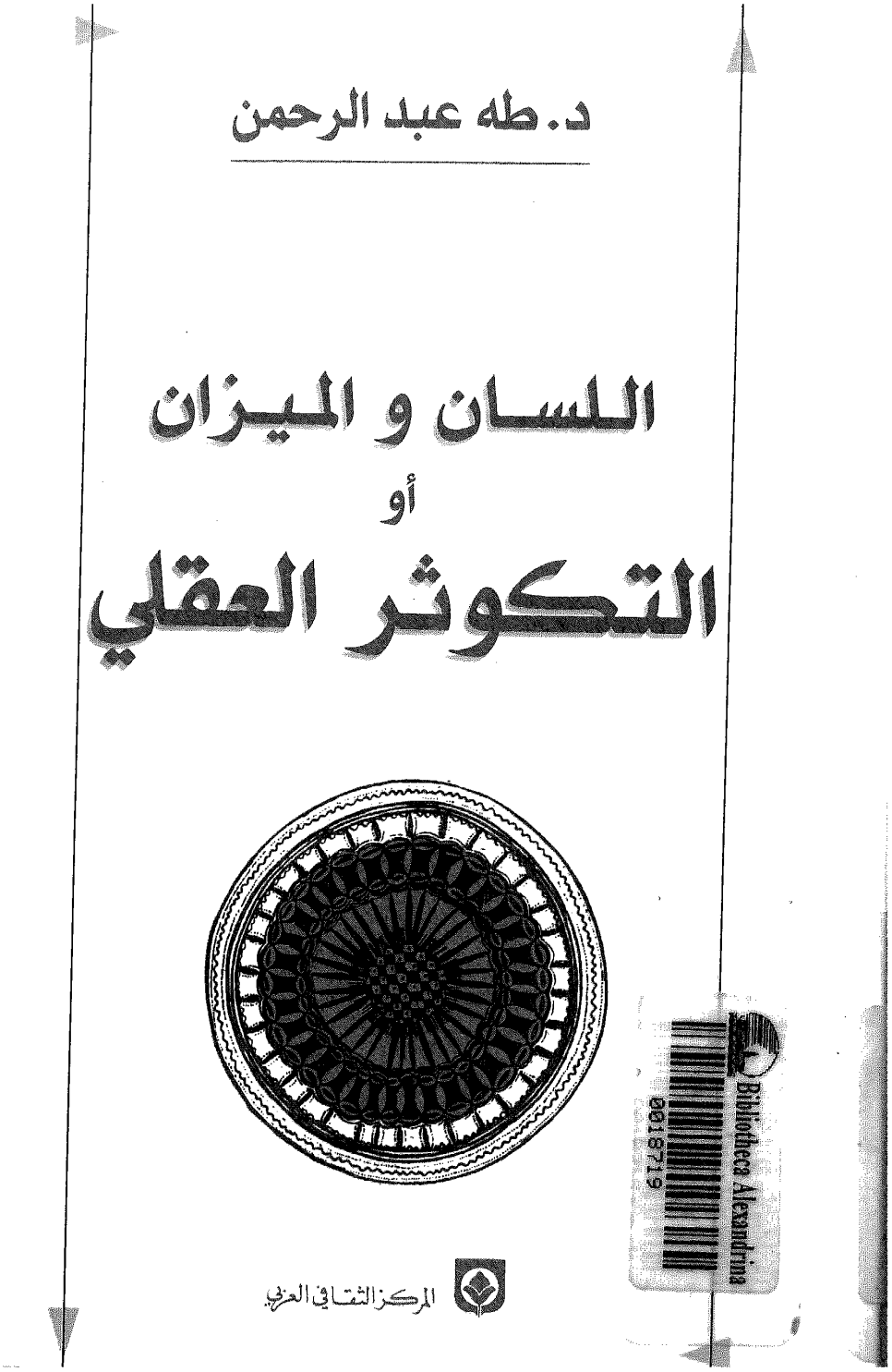
د. طه عبد الرحمن
اللسان و الميزان
أو
التكوثر العقلي
المركز الثقافي العربي
Bibliotheca Alexandrina
0018719